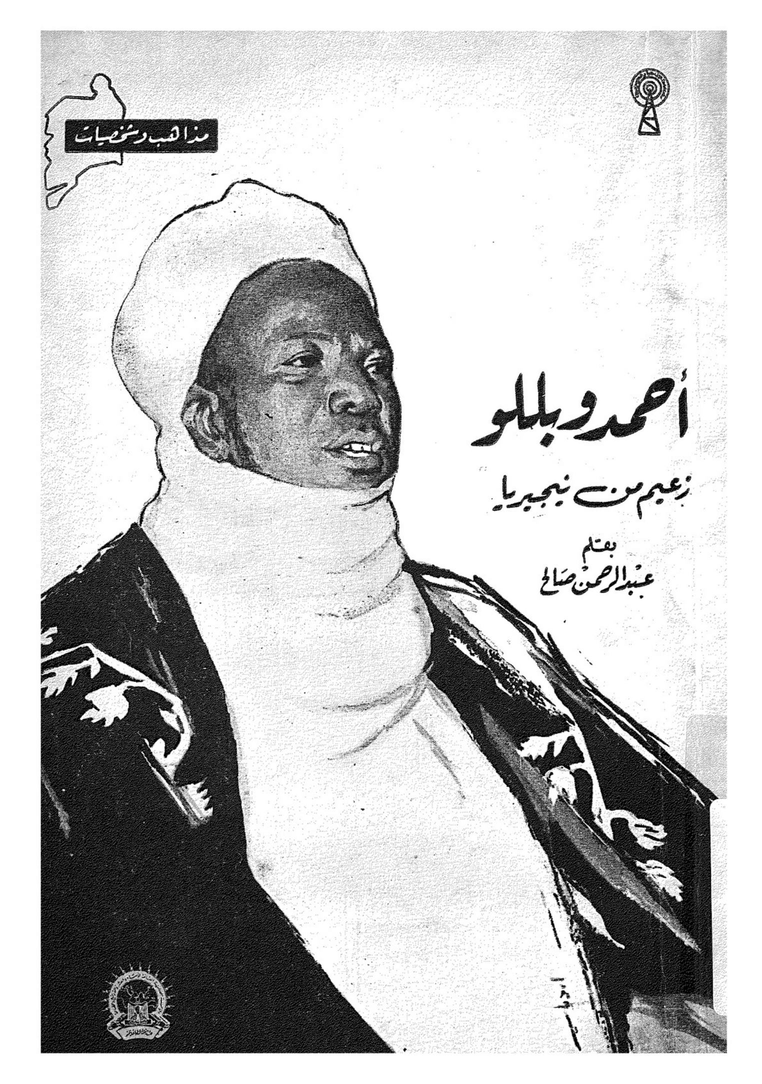

مذاهب وشخصيات
أحمدو بللو
زعيم من نيجيريا
بقلم
عبد الرحمن صالح

اهداءات ٢٠٠١



أحمد وبللو

زعيم من نيجيريا

تأليف : عبد الرحمن صالح

تقـــديم

يتحدث العالم كله عن أفريقيا اليوم ، ويهتم الساسة والكتاب الغربيون بقارتنا اهتماما كبيرا ـ وان كان اهتماما من نوع جديد • اذ الى وقت قريب كانت خريطة أفريقيا السياسية تنم عن تبعية معظم أجزائها الى دول استعمارية أوربية ، وكانت العلاقة السائدة بين تلك الدول وبين مستعمراتها الافريقية هي علاقة الحاكم بالمحكوم ، والسيد بالمسود • فكان هناك تعال واستكبار ، وسيطرة واستغلال ، وانكار للشخصية الافريقية وللحضارة الافريقية والتاريخ الافريقي • وقد ظن هؤلاء الغربيون ان سلطانهم فى أفريقيا لن يزول ، وعملوا من جانبهم على تخليد هذا السلطان باهمال شئون الوطنيين فى الصحة وفى التعليم ، فى الوقت الذى يسخرون فيه الاهالى فى العمل بأقل الاجور فى زراعة المحاصيل الاولية أو استخراج الخامات المعدنية التى يصدرها المستعمر ويحصل منها على أرباح خيالية تزيد من رفاهية الرأسماليين وتوسع الفجوة بين مستويات المعيشة فى الغرب وفى الشرق • كانوا يحلمون بأن امبراطوريتهم فى أفريقيا سوف تدوم قرونا كما دامت فى آسيا ـ فى الهند وأندونيسيا مثلا • ولما كان التكالب على أفريقيا قد بدأ فى القرن التاسع عشر ، وفى القسم الاخير منه بالذات ، فمن المعقول ان يقدر الاستعماريون أن سيطرتهم ستمتد الى القرن الثاني والعشرين ـ أو ربما بعد ذلك ـ قبل أن يخلق بين الافريقيين وعى قومى يتحدى نفوذهم ويمهد لاعادة الحقوق الى أصحابها • لابد أن تفكيرا مثل هذا كان يجول بخاطر سيسل رودس وجوزيف تشيمبرلن ولورد كرومر من الأموات ، وبخاطر ونستون تشرشل نفسه من الاحياء • ولكن افريقيا وشعوبها أبت أن ينعم الغرب بهذا الحلم الاستعمارى اللذيذ ، فانتفضت مطالبة بحريتها المسلوبة ، ولم تقو الدول الغاصبة على مواجهة

الظروف الجديدة ، فماطلت ما استطاعت الى ذلك سبيلا ، ولكنها اضطرت الى الاذعان فى النهاية ، ونالت شعوب أفريقيا استقلالها الواحد تلو الاخر ، فأفسدت على الاستعماريين احلامهم الجميلة السالفة وأخذت تحتل مكانها الطبيعى بين شعوب العالم الحرة .

والحرية ـ اذا مافقدت ـ لاتمنح ، وانما تنتزع ممن سلبها وليس ذلك بالامر السهل ، لانه يستلزم انبثاق وعى قومى وتوحيد كلمة الشعب وظهور الزعيم الوطنى الذى يتود قومه فى معركة التحرير .

وانه لمما يدل على حيوية الشعوب الافريقية انها أنجبت من الزعماء فى الوقت المناسب عددا كبيرا ـ كلهم ايمان برسالتهم لتصفية الاستعمار من القارة ، لا يبالون بالتهديد أو الارهاب ، بل ان كثيرا منهم قضوا فترة بين جدران السجون وغادروها وهم أشد بأسا وأقوى شعبية ليحققوا استقلال أممهم ويتولوا الحكم فيها بعد هزيمة الاستعمار .

أما الاهتمام الحالى بافريقيا فمرجعه أن الدول الغربية عامة تحاول أن ترسم لنفسها سياسة تتفق والأوضاع الجديدة فى القارة ، سياسة أساسها الاعتراف بالمساواة ، والتسليم بأن شئون افريقيا لم تعد يخطط لها فى لندن أو باريس ، بل فى العواصم الافريقية ذاتها وبأيدى المواطنين الافريقيين . وثمة وجه آخر للاهتمام بافريقيا ، وهو أن دولها المستقلة أصبحت تربو على الخمسة والثلاثين ، أى أكثر من أية قارة اخرى . ومثل هذا القدر فى الجمعية العامة للامم المتحدة قوة سياسية لايستهان بها ، خاصة وأن الدول الافريقية قد أعربت عن اعتناقها لمبدأ عدم الانحياز ، فاذا ما انضمت اليها الدول الآسيوية الحرة تكونت من الاثنين كتلة بشرية هائلة لايستطيع احد المعسكرين المتصارعين أن يتجاهل وجودها .

ولعل العناية الالهية قصدت من ظهور هذه الكتلة المحايدة فى الوقت المناسب أن يستعيد العالم توازنه المفقود وأن يجد من بين شعوبه من لايسيطر عليهم جشع أو كراهية فيزنوا الامور فى جو من الروية والموضوعية ، ويتقدموا النصح لمن جانبهم الصواب ، ويقوموا بدور الوساطة النزيهة بين الشعوب التى تندفع وراء اطماع رخيصة فتتخاصم وقد تشتبك

فى صراع لايمكن التكهن بتطوره أو مداه أو آثره على السلام العـــالمى .

ونيجيريا ـ التى أصبحت جمهورية منذ أشهر قليلة ـ هى عملاق افريقيا من حيث عدد السكان ، الذين يبلغون نحو ٤٠ مليونا . ولا شك أن هذه القوة الجديدة فى محيط الدول المتحررة ستكسبها تضامنا يساعد على تخليص باقى أجزاء القارة من بقايا الاستعمار كما يعلى من صوتها فى المجال الدولى .

وبرغم اختلاف أجزاء نيجيريا بعضها عن بعض فى المناخ والديانة واللغة والحياة الاجتماعية مما كان يحتمل معه وجود فرقة بين شعبها تعوق اتحاده الا أن الزعماء الوطنيين المخلصين وضعوا مصلحة الوطن الأكبر فوق المصالح المحلية وتضافروا للحصول على الاستقلال ، وهم يعملون بجد لانمـاء الاقتصاد الوطنى والنهوض بالتعليم والقضاء على مظاهر التخلف التى كان الاستعمار سببا فيها . والزعيم أحمدو بللو من هؤلاء الذين انجبتهم نيجيريا ليسهموا فى قضية التحرر ويعملوا على وحدة الصفوف .

وقد جاء هذا الكتاب الشيق يصف لنا نشأة هذا الزعيم وتجاربه التى جعلت منه مصلحا كبيرا وسياسيا بعيد النظر يعمل لخير وطنه الصغير « نيجيريا » وينادى بوحدة أكبر تضم الشعوب الافريقية .

ويهمنا فى الجمهورية العربيـــة المتحدة أن نتتبع شئون الشعب النيجيرى خاصة وانه يضم أكبر عدد من المسلمين فى افريقيا خارج الجمهورية العربية المتحدة فهناك صلة روحية بين القطرين ، ومن الممكن أن يعمل كل منهما على زيادة الروابط بينهما لتشمل ـ بالاضافة الى الجـانب الثقـافى والدينى ـ النواحى الاقتصادية بما يعود عليهما بفائدة مشتركة .

وأرجو أن يكون هذا الكتاب الذى أقدمه للقراء حافزا لهم على الاهتمام بشئون نيجيريا بخاصة وافريقيا بعامة ، كما أرجو أن تتعدد الكتب التى تتناول موضوعات افريقية حتى نحقق احدى رغبات الرئيس جمال عبد النـاصر بخلق وعى افريقى مستنير بين شعب الجمهورية العربية المتحدة .

والله ولى التوفيق . عز الدين فريد

مدير معهد الدراسات الافريقية

مقدمة

أحمدو بللو رئيس وزراء الاقليم الشمالى من دولة اتحاد نيجيريا هو زعيم من أكبر زعماء غرب افريقيا.. وقد لعب دورا هاما فى حركة الاستقلال الأخيرة التى شملت القارة الوثابة عامة ..ودولة اتحاد نيجيريا خاصة .. بل انه قد عاصر الاحتلال البريطانى لشمال نيجيريا منذ بدأ سنة ١٩٠٠ حتى انتهى سنة ١٩٦٠ .. وشاهد مساويه واشترك فى مقاومته التى انتهت أخيرا بتمتع بلاده بالحرية .

وهو أيضا سليل هذه الأسرة المسلمة الكبيرة التى عمقت جذور العقيدة المحمدية فى مساحة كبيرة من القارة .. وواصلت وما زالت تواصل حتى اليوم جهودها الكبيرة فى هذا السبيل .. الا وهى أسرة الزعيم عثمان دان فوديو الذى أسس دولة الفولانى فى مطلع القرن التاسع عشر .

كما أنه زعيم أكبر الاحزاب السياسية فى نيجيريا وهو حزب مؤتمر شعوب الشمال الذى يضم أكبر نسبة من جماهير الشعب هناك ويتولى

احد اعضائه (الحاج أبو بكر تافاوا باليوا) رياسة الوزارة الاتحادية لنيجيريا كلها ٠

وهو أيضا من أصدقائنا الأقربين ٠٠ زارنا عدة مرات واستمتعنا بلقائه والتعرف عليه ٠

لذلك وجب على القارىء العربى أن يعلم شيئا عن حياته وعن تاريخ البلد الذى أنجبه حتى يكمل وعيه بالقارة التى يلعب العرب فيها دورا جد خطير منذ مئات كثيرة من السنين ٠

وهذا الكتاب محـــاولة فى هذا السبيل ٠٠ ارجو أن تحقق بعض النجاح ٠

وقد بدأنا بمقدمة عن نيجيريا قدمنا فيهـــا عرضا سريعا للبلد ٠٠ أهله ٠٠ وجغرافيته ٠٠ وتاريخه ٠

ثم تطرقنا بعد ذلك للحديث عن أحمدو بللو نفسه ٠٠ نشأته ٠٠ وجهاده منذ بدأ هذا الجهاد حتى اليوم ٠ وتخللت هذا الحديث أضواء كثيرة تلقى هنا وهناك على نظام الحكم والعـــلاقات بين الاحزاب المختلفة والمشاكل التى يعانيهـــا البلد الشقيق وبخاصة اقليمه الشمالى ٠

وليست هذه الا خطوة من الخطوات التى بذلت فى هذا الســبيل والتى أرجـو أن يســتكملها الكثيرون من المهتمين بالشئون الافريقية فى بلدنا حتى نزداد علما بقارتنا وبرجالاتها ٠

والله الموفق والمعين ٠

عبد الرحمن صالح

١- هذا البلد.. نيجيريا

عرض جغرافى

نيجيريا هى أكبر الدول الافريقية الواقعة جنوبى الصحراء وأكثرها سكانا ٠٠ وهى الدولة الثانية عشرة من حيث ترتيبها بين الدول المزدحمة بالسكان فى العالم ٠٠ وهى الوحـــدة السياسية الوحيدة في أفريقيا التى توجد فيها مجموعات اللغات الافريقية الرئيسية ٠

تقع نيجيريا فى أقصى الركن الداخلى لخليج غينيا بغرب أفريقيا ٠ ومساحتها تبلغ حوالى ٣٧٣ ألف ميل مربع تقريبـا تمتد من خليج غينيا جنوبا الى الصحراء الكبرى شمالا ويحدها من الغرب والشمال جمهوريتا داهومى والنيجر ومن الشرق بحيرة تشاد والكاميرون ويمكن تقسيمها الى أربعة أقاليم نباتية من الجنوب الى الشمال ٠٠ فعلى الساحل يوجد حزام من الغابات الكثيفة والمستنقعات يتراوح عرضه من عشرة الى ستين ميلا وهذا الحزام قليل السكان ومتأخر نوعا ٠ ويلى ذلك حزام آخر من الغابات الاستوائية الأقل كثافة تكثر بينها أشـجار جوز الهند ٠٠ ويتراوح عرض هذا الحزام بين ٥٠ و ١٠٠ ميـل تخترقه الانهار والمجارى المائية ويتبع ذلك حزام آخر من مناطق السافانا الفسيحة تتخللها الغابات المتناثرة ويبلغ عرضه حوالى ٣٠٠ ميل ٠ ويظل الحزام الأخير يتضـاءل وتقل الأشـجار والنباتات حتى ينتهى بالاقليم الصحراوى عند الأطراف الجنوبية للصحراء الكبرى وهذا التدرج فى النباتات وما يتبعه من تدرج فى المناخ هو نتيجة للاختلافات الواسعة فى درجة سـقوط الأمطار التى تسببها الرياح التى تهب من جنوب الاطلنطى ٠ وقد أدى هذا بالتالى الى اختلاف التربة ودرجة خصوبتهـا وبالتالى تنوع الحاصلات الزراعية ٠

وأهم المعالم الجغرافية فى نيجيريا هو نهر النيجر الذى ينبـــع من الجبال الواقعة شمال شرق سيراليون ـ ثم يخترق أراضى الســـودان الفرنسى سابقا (جمهوريتا مالى والنيجر الآن) ثم يدخل نيجـــيريا من الشمالى الغربى · ويلتقى بنهر بينى Benue River عند مدينة لاكوجا فى منتصف نيجيريا تقريبا ثم ينحدر نحو الجنـــوب حتى يصب فى خليج غينيا ·

وبالرغم من طوله فانه قليل الجدوى كطريق للنقل المائى ســـواء فى ذلك بالنسبة للاتصال بين اجزاء البلاد المختلفة فى الداخل أو بالنسبة للاتصال بالعالم الخارجى عن طريق المحيط ·· وذلك بسبب اختلاف معدلات المياه به بين فصل وآخر وكذلك بسبب الحواجز الرملية التى تتكون عند مصبه التى أدت الى منع خروج السفن منه الى البحر من جهة والى اعاقة نمو الموانى النهرية عليـه من جهة أخرى · وبذلك فان نهر النيجر لم يكن عامل اتصال بين الجماعات الجنسية المختلفة فى نيجيريا ·

وقد أدى وجود الغابات الكثيفة والمستنقعات والجو القاسى المشبع بالرطوبة على الساحل فى الجنوب والصحراء فى الشمال وكذلك انتشار ذبابة «تسى تسى» التى قضت على حيوانات النقل الى عزلة نيجيريا وصعوبة اتصالها بالخارج ·· ولكن وسائل الاتصال الحديثة من ســـكك حديد وطائرات وغيرها قد قضت على هذه المصاعب ·

كما أن الغابات الكثيفة وعدم وجود الحيوانات الأليفة قد أدى أن تكون الزراعة يدوية تعتمد على عمل الأسرة الجمـاعى ·· وقد أثر ذلك بالتالى فى تحديد حجم التنظيم السياسى التقليدى فأصبحت الوحدات صغيرة وموزعة وقائمة على الأسرة أو القبيلة المحدودة · وبعكس ذلك فى الاقليم الشمالى حيث الأرض فسيحة والحيوانات الأليفة كالحصان والبقرة وغيرها يمكن أن تعيش دون تهديد بالابادة من ذبابة « تسى تسى » نجد أن الوحدات التقليدية أكبر ·

وقد أدى صغر الوحدات السياسية التقليدية فى الجنوب بالاضافة الى اختلاف اللغات واللهجات الى صعوبة الاندماج والانصهار بين العناصر المختلفة وقلة الخبرة فى ادارة المنظمات السياسية الكبيرة باستثناء قبائل اليوروبا والبينى Yoruba and Bini

وسكان جنوب نيجيريا حيث الغابات الكثيفة والمستنقعات والجـو الحار المشبع بالرطوبة من الجنس الزنجى وأهمها قبائل اليوروبا والأيبو·

أما الشمال فيغلب على سكانه انهم من قبائل الفولانى وكذلك من الجنس السامى أو العرب • وقد اختلط العنصران الزنجي والفولانى فى المنطقة الوسطى • وإن كانت قبائل الفولانى الاصلية مازالت توجد فى أقصى الشمال وتشتغل بالرعى • أما العرب فيوجدون فى منطقة بحيرة تشاد بمديرية بورنو فى الاقليم الشمالى •

وتوجد فى نيجيريا مايقرب من ٢٤٨ لغة •• أهمها الهوسا واليوروبا •

وقبل الاحتلال البريطانى لنيجيريا كان الاقليم الشمالى فيما عدا بورنو والمناطق الوسطى التى يقطنها الوثنيون فى مرتفعات جوس بالحزام الأوسط •• يعرف باسم امبراطورية الفولانى • كما أن الاقليم الغربى باستثناء بعض الجماعات الصغيرة المقيمة بالدلتا والاقليات المعروفة بالايبو Ibo والايجا Ijaw كان تابعا لممالك اليوروبا والايدو Yoruba and Edo

الاقليم الشمالى

ينتظم الاقليم الشمالى أكثر من ٧٥ ٪ من مساحة نيجيريا كلها كما أنه يضم أكثر من ٦٠٪ من عدد السكان يضمون خمس جماعات لغوية من الجماعات العشر الكبرى التى تعيش فى نيجيريا وهذه الجماعات الخمس هى « الهوسا والفولانى والكانورى والتيف Tiv والنوبى » وكل الجماعات اللغوية الـ ٢٣٩ الصغرى ماعدا أربعة عشر جماعة فقط • وقبل الاحتلال البريطانى كانت هناك جماعتان لغويتان كبيرتان بالاقليم الشمالى الأولى فى الشمال الشرقى فى بورنو وبحيرة تشاد تضم الشعوب التى تتحدث بلغة الكانورى والتى كانت تخضع لمشيخة بورنو والجماعة الثانية فى الغرب وكانت تضم الشعوب التى تتكلم الفولانى والهوسا وتنتظمها عدة امارات تخضع للزعامة الدينية لأمير سوكوتو • وعلى كل فان الشعوب التى تتكلم بالفولانى تنتشر فى شمال وغرب أفريقيا من أعالى النيل حتى السنغال • وخلال القرن الماضى كانوا يشكلون القوة السياسية المسيطرة بالاقليم الشمالى وكانت امبراطوريتهم تتركز حول سوكوتو وقد أسسها الشيخ عثمان دان فوديو •

وقد اندمج معظم الفولانى فى الهوسا عن طريق التزاوج وسرعان ما أصبحت لغة الهوسا هى اللغة السائدة هناك يتكلمها الآن أكثر من ٤٠ ٪ من سكان الاقليم كلغتهم الأساسية • والهوسا كجماعة جنسية أصيلة متميزة يتمركزون فى مديريات كانو وسوكوتو وكاستينا وزاريا بالاقليم الشمالى ولكن بالاضافة الى ذلك يوجد أكثر من خمسين الفا منهم بالاقليمين الشرقى والغربى كما ينتشرون على طول غرب أفريقيا • وهم يتميزون بترابطهم وتمسكهم بعقيدتهم الاسلامية ونزوعهم للثقافة والعلم وفخرهم بجنسهم وأنهم لايحترفون الا التجارة وقد أصبحت الهوسا الآن لغة عامة منتشرة فى معظم بلاد غرب أفريقيا •

عرض تاريخى

نيجيريا قبل الاستعمار البريطانى :

لم يبدأ الاستعمار البريطانى لنيجيريا رسميا الا منذ سنة ١٨٦١ تلك السنة التى أصبحت فيها لاجوس تابعة فعلا للتاج البريطانى · وقبل ذلك تعرض الشمال النيجيرى طوال قرون عديدة لتأثيرات عديدة من خارجه أتته من الممالك الكبيرة التى قامت فى العصور الوسطى بالسودان الغربى مثل ممالك غانا ومالى وسونغاى وقد تعرض الشمال أيضا لتأثيرات عميقة هبت عليه من الشمال الافريقى وبخاصة من المغرب وليبيا ومصر عن طريق بحيرة تشاد ومعبر نهرى النيل والنيجر · وكان نزوح الجماعات النيجيرية الكبيرة الموجودة حاليا بالشمال وهجرتها الى الاقليم مرتبطة بانتشار الدين الاسلامى الحنيف فى مصر والشمال الافريقى خلال القرن السابع الميلادى وبعده ولقد كانت امبراطوريات ميللى وسونغاى امبراطوريات اسلامية اعتنق منشئوها الاسلام فى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى وفى سنة ١٤٩٣ تولى عرش سونغاى الأمير محمد اسكيا ·· وخلال القرنين التاليين تمكن هو وخلفاؤه من ضم معظم امارات الهوسا الى الامبراطورية الاسلامية العظيمة التى ضمت أراضى شاسعة ومدنا رائعة كانت مراكز مزدهرة للثقافة الاسلامية والعربية مثل كاستينا وكانو بل كانت الاخيرة أيضا من أشهر المدن التجارية فى الغرب الأفريقى · ومن الناحية التاريخية والثقافية ينتمى الشمال النيجيرى المسلم الى السودان الغربى ·

وحتى وصول البريطانيين الى نيجيريا كان الشمال النيجيرى مرتبطا اقتصاديا بمصر وليبيا · وكانت مدينة كانو قد ذاعت شهرتها فى جميع انحاء غرب افريقيا بل وخارج

القارة بأنهـا مركز من أهـم مراكز غزل الاقمشـة ونسـجها وتطريزها بالمعـادن النفيسـة وكذلك بدبغ الجلود وصنـاعة البضـائع الجلدية الجميلة • وكانت هذه المصنوعات الجلدية تعرف حينئـذ باسم « الجلود المراكشية » وتحملها القوافل عبر الصحراء الى موانى الشمال الافريقى حيث تباع ، ثم تعود القوافل حاملة البضائع المختلفة مثـل الأقمشـة والأدوات المعدنية والزجاج • ولكن منذ بدأ الاحتلال البريطانى لنيجيريا فى القرن الماضى تحول طريق التجارة عن طريق الصحراء الى الجنـوب حيث الساحل وذلك نتيجة لوضع الحدود السياسية التى أصبحت تعوق مرور القوافل وكذلك نظرا لاهتمام المستعمرين بتحسين وسائل الاتصال بين الشمال والساحل الجنوبى المطل على الاطلنطى حتى تنفصم العلاقات بين مسلمى الغرب الافريقى واخوانهم مسلمى الشـمال وحتى تتركز التجارة فى ايدى الشركات الاستعمارية وتعود عليها وحدها بالغـلات والارباح •

ولقد تغلغلت جذور العقيدة الاسلامية تماما فى شمال نيجيريا منذ نهاية القرن الخامس عشر الميلادى••وكانت نتائج ذلك عميقة وقوية•فقد نتج عن ذلك أن قامت حكومات قوية مستقرة تفرض النظام والعدالة كما انتشرت الثقافة والتعليم وأصبحت اللغة العربية هى لغة الثقافة والعلم ودخل لغة الهوسا مئات من الكلمات العربية بل كتبت أيضا هذه اللغـة بحروف عربية • كما أن الاسلام كان رابطة قوية ضمت بين حناياها سكان الشمال جميعا فلم تصبح بينهم تلك الفروق العرقية والفكرية العميقـة التى توجد بين سكان الجنوب • فضلا عن انه كان صلة استمرت علىهديه ـ بالرغم من المستعمرين ـ العلاقات بينالغرب الأفريقىوبين الدول العربية بالشرق الاوسط نتيجة لرحيل آلاف وآلاف من مسلمى تلك المناطق عبر المسافات الشاسعة الى بيت الله الحرام بمكة لأداء فريضة الحج كل عام • بل ان عددا كبيرا من مسلمى نيجيريا وغيرها من بلاد السـودان الغربى يستقرون سنوات وسنوات فى جمهورية السودان ومصر وأريتريا وغيرها وهم فى طريقهم لأداء الفريضة يعملون فىمختلف المهنليحصلوا على نفقات الرحلة ويكتسبون بذلك معرفة بلغة القرآنوتوثيقا لعلاقات بلادهم وأهلهم بهذه الأقطار الاسلامية •

والحق أن تأثيرات الاسلام والعروبة لم تقتصر على الشمال النيجيرى ••• بل لقد تسربت أيضا الى الجنوب واعتنق الكثير من أهل الجنـوب الشريعة السمحة لأنهم وجدوا فيها دين الفطرة السهل الذى لا يحتـوى على تعقيدات تعاليم المبشرين الأوربيين ولا خرافات العقائد الوثنية ويكاد

يزيد عدد اليوروبا المسلمين اليوم فى الغرب الافريقى على عدد المسيحيين منهم بالرغم من جهود المبشرين التى يؤازرها ذهب المستعمر وسيفه ٠ وعلى كل فان أثر المستعمر وجهوده فى محاربة الاسلام يتجلى فيما شاب عقائده هناك من جهل وأباطيل واختلاط تعاليمه ببعض العادات الوثنية٠ ولكن الأمر كذلك أيضا بالنسبة للمسيحية حتى أصبح معروفا أن تعاليم كلتا الديانتين السماويتين قد « تأفرقت » كما يقولون ٠ ولكن الجهود التى يبذلها الأزهر وغيره من الهيئات الاسلامية الكبيرة فضلا عن أن تقلص ظل الاستعمار هناك سيؤدى الى تخليص تعاليم الاسلام من هذه الشوائب الدخيلة ٠

وخلال القرن الخامس عشر بدأ البرتغاليون اتصالهم بالغرب الافريقى وبدأ بالتالى على أيديهم عهد من أحلك العهود فى تاريخ البشرية جمعاء ٠٠ وهو عهد الرق ٠٠ كانوا يفدون بسفنهم ويسيرون الحملات الى الداخل حيث الأهالى الآمنون الوادعون فى قراهم وسط الاحراش والغابات فيمسك بهم الموردون والوسطاء ويعودون بهم الى الشاطىء مكبلين بالأصفاد ليسلموهم الى البرتغاليين مقابل دريهمات معدودات أو بضائع تافهة من أسلحة وعقود ومشروبات روحية وغيرها ٠٠ ويقوم البرتغاليون بدورهم بنقل بضاعتهم البشرية الى بلادهم ثم الى العالم الجديد بعد ذلك لتسخيرهم فى مزارع الاسبانيين وغيرهم ممن استعمروا امريكا ٠ ولقد قدر عدد الافريقيين المستعبدين الذين كانوا ينقلون الى البرتغال سنويا من سنة ١٤٥٥ بحوالى ٧٠٠ عبد سنويا٠٠وبتشجيع من هنرى الملاح ملك البرتغال أصبح كل الساحل الغربى لأفريقيا معروفا تماما للأوربيين منذ سنة ١٥٠٠ ولقد قام التجار والمبشرون البرتغاليون بزيارة قصيرة لمملكة بنين Benin فى سنة ١٤٨٠ ومنذ نهاية القرن الخامس عشر حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر كان لهم نفوذ قوى فى مملكة ايتسيكرى بمنطة وارى Itsekiri Kingdom of Wari ٠

وخلال القرون الثلاثة التى أعقبت سنة ١٥٠٠ اشتركت معظم الدول الاوربية صغيرها وكبيرها فى تجارة العبيد التى ازدهرت ازدهارا كبيرا عقب اكتشاف امريكا وانشاء المستعمرات الاسبانية فى جزر الهند الغربية التى تطلبت آلافا من الأيدى العاملة الرخيصة ٠

وفى سنة ١٧١٢ فرض البريطانيون احتكارا يكاد يكون تاما على تجارة الرقيق فى ساحل افريقيا الغربى ٠ وبعد قرن من ذلك التاريخ أى فى سنة ١٨٠٧ أعلنت بريطانيا اعتبارها عدم مشروعية هذه التجارة

وتحريمها اياها • ولكن هذه الخطوة لم تؤثر تأثيرا كبيرا فى التخفيف من عذاب ملايين البؤساء من زنوج القارة المستعبدين لأنه سرعان ماهرع تجار آخرون من أجناس أوربية متباينة وخاصة من البرتغال لملء الفراغ الذى تركه البريطانيون بل ان هذه التجارة بلغت أقصى نشاط لها فى هذه الفترة ولكن فى منتصف عام ١٨٤٠ انتهت تماما •

ولم يكن تجار العبيد الأوربيون يحبون التوغل داخل أراضى نيجيريا بعيدا عن الساحل واكتشاف ماوراء الشاطىء المليء بالغابات والمستنقعات •• فقليل منهم •• بل قليلون جدا هم الذين تركوا سفنهم ورحلوا قليلا نحو الداخل • وكان اقتناص الافريقيين مهمة يقوم بها بعض الافريقيين بتحريض من التجار الأوربيين • وكان زعماء القبائل وتجار الرقيق الافريقيون يقومون بدور الوسطاء بين القناصة والاوربيين ويحضرون العبيد البؤساء الى الشاطىء حيث يتم تبادلهم مقابل البضائع الأوربية وخاصة الخمور والعقود والخرز والاسلحة والأقمشة الزاهية الألوان ولذلك فانهؤلاء الوسطاء قد شعروا بالحزن أيضا ـ مثلهم فى ذلك مثل البيض ـ حين حرمت هذه التجارة •

ولقد كان الساحل النيجيرى معروفا حتى منتصف القرن التاسع عشر باسم «شاطىء العبيد» ولقد عانى أهله العذاب والعنت طوال قرون أربعة من جراء هذه التجارة المشينة البشعة التى اهدرت انسانيتهم وشردت عائلاتهم وكادت ان تقضى على نظمهم وروابطهم الاجتماعية ولقد حمل العبيد معهم الى مواطنهم الجديدةعاداتهم وتقاليدهم والكثير منعباداتهم وطقوسهم •• واحتفظوا بالكثير من هذه العادات والتقاليد بالرغم من القوانين الجائرة التى كان يصدرها ملاكهم البيض لحظرها « وتمدينهم » و « نشر الحضارة » بينهم كما كانوا يقولون • وان المرء ليجد حتى الآن الكثير من ثقافة اليوروبا ومعتقداتهم بين الجماعات الزنجية فى البرازيل وجزر الهند الغربية وغير ذلك من انحاء الدنيا الجديدة • وكثير من طبقة «الكربيول» فى سيراليون وهى الطبقة الحاكمة التى نقلها البريطانيون الى هناك عقب تكوين المستعمرة وهم حفدة أرقاء قدماء من اليوروبا تحرروا فى القرن الماضى •

وبالرغم من أن الاثر الاجمالى الشامل لتجارة الرقيق على المجتمع النيجيرى لن يمكن معرفته فى الوقت الحاضر فانه مازالت توجد آثار معينة واضحة جلية للعيان •• فقد كانت هذه التجارة من الاسباب الرئيسية للدمار الشامل الماحق الذى سيطر على جنوب نيجيريا خلال

القرون الطويلة التى استمرت فيها هذه التجارة قبل التحريم · ولم تضطرب النظم الاجتماعية والروابط القبلية والعائلية من جراء ذلك اضطرابا جد خطير يصل الى درجة الانهيار فقط ·· بل أيضا استنفدت طاقات السكان ومواهبهم فى هذه التجارة سواء كقناصين للرقيق أو كبؤساء مطاردين هائمين على وجوههم خوفا من الوقوع فى أيدى القناصين · وذلك فضلا عن أن ملايين وملايين من أبناء المجتمع النيجيرى الذين يمتلئون بالنشاط والقوة والحيوية قد أخذوا بعيدا عن المجتمع الافريقى طوال اربعمائة من الأعوام ·· وكانوا كفيلين لو ظلوا به أن يرتفعوا بمستواه وينشروا فيه الرخاء والازدهار بدلا من الخراب الذى حلق فوقه نتيجة لجشع الأوربيين · ونفس الفترة شهدت ازدهار أوربا وأميركا وخروجهما من ظلمات العصور الوسطى وتقدمهما الرائع فى كل مجال وغناهما الفاحش ولقد قام كل ذلك على أكتاف وسواعد الافريقيين ومن الثروات الطائلة التى جنـــاها الأوربيون من مستعمراتهم وتجارتهم فى أفريقيا وآسيا · يقول الشاعر ليوبولد سيداد سنغور رئيس جمهورية السنغال الحالى « ان النهضة الأوربية قد بنيت على أنقاض الحضارة الزنجية·· ولقد تضخمت قوة أميركا بعد امتصاصها لعرق الزنوج ودمائهم » ويقول الشاعر الزنجى العظيم ايمى سيزار من زنوج جزر البحر الكاريبى « ان لندن وباريس ونيويورك وامستردام وغيرها من المدن ·· تحيط بنا كالنجوم الزاهرة ولكن لك أن تقدركم استلزم تشييد رخائها وكبريائها وحركتها من تحطيم لأعصابى ، ومن خوفى القاتل ، وصرخات شقائى الأبدى ، وحبات العرق تنزف من وجهى ·· لتصبح هكذا ·· كما هى الآن !!؟ » ·

وتجارة الرقيق لم تترك أثرها فى تفسخ المجتمعات الأفريقية فقط بل انها تركت آثارا نفسية عميقة تبدو فى الشك والريبـــة والحذر بل العداء الذى يكنه الافريقى الزنجى للأوربى والذى يطبع علاقاته بـــكل أبيض يقابله · وكثير من الافريقيين المتعلمين يعتقدون أن هذه التجـارة هى السبب فى هذا التأخر الشديد الذى انحدر اليه قومهم بعد أن كانت لهم ممالك مزدهرة ذات حضارة متقدمة مثـل ممالك اليوروبا وبنين فى القرون الحادى والثانى والثالث عشر ·

ولكن الملاحظة الجديرة بالتسجيل أيضا أن الاقليم الشمالى فى نيجيريا

وكذلك مناطق السودان الغربى المسلمة فى غرب افريقيا قد حمتها عقيدتها السمحة من ويلات هذا الاسترقاق والفوضى • فبينما كان الساحل يتعرض أهله لشرور الاختطاف وانكار الآدمية كان الداخل المسلم فى ظل شريعته الغراء التى تكفل المساواة بين البشر وتحرم استعباد الانسان لأخيه الانسان يتمتع أهله بالعدالة والرقى والازدهار وتقوم به ممالك قوية ورائعة مثل ممالك سونغاى وميلى وتصبح كثير من مدنه كعبة للعلوم والحضارة مثل تمبوكتو وكانو كما سبق أن تحدثنا •

التدخل البريطاني في نيجيريا :

أعلنت بريطانيا تحريم تجارة الرقيق سنة ١٨٠٧ ٠٠ والفكرة التى يروج لها الاستعمار الغربى عامة هى أن سبب هذا القرار هو النزعة الانسانية وحب الخير واتباع تعاليم المسيح عليه السلام ولكن الحقيقة هى أن بريطانيا لم تتخذ هذا القرار الا بعد أن هزمت فى حرب الاستقلال بالولايات المتحدة ونجحت هذه فى طرد المستعمرين البريطانيين والحصول على حريتها ولذلك فقد رأت بريطانيا الحقود المغيظة أن توجه ضربة قاضية للاقتصاد الامريكى الناشىء الذى كان يعتمد على المزارع الواسعة يعمل فيها ملايين الأرقاء الافريقيين لحساب سادتهم البيض فتمنع تصدير الأيدى العاملة الرخيصة لهذه المزارع مما قد يؤدى الى توقفها وبوارها ٠٠ والا فأين كانت النزعة الانسانية وحب الخير وتعاليم السيد المسيح عليه السلام طوال قرون أربعة طويلة ؟٠

وعلى كل حال فقد أعقب ذلك أن أخذ التجار البريطانيون تجار الرقيق السابقون يتحولون الى أنواع أخرى من التجارة مثل تجارة العاج وزيت النخيل ٠٠ ودفعتهم هذه الانواع الجديدة الى التوغل داخل البلاد وارسال البعثات الاستكشافية ٠ وخلال السبعين سنة التالية لتحريم تجارة الرقيق نمت التجارة فى منتجات نيجيريا نموا متزايدا ٠ وكانت تعتمد أول الامر على نشاط التجار الأفراد والمنشآت الاهلية ٠٠ ولكن منذ سنة ١٨٨٦ (وحتى ١٩٠٠) تركزت هذه التجارة في أيدى شركة النيجر الملكية البريطانية التى أسسها السير جورج جولدى نتيجة لادماجه معظم الشركات المنافسة ٠ وفى سنة ١٨٨٥ عقد مؤتمر برلين الشهير الذى تقاسمت فيه دول أوربا القارة الافريقية كأنها سلعة رخيصة لاأهل لها ولا صاحب واستجاب المؤتمر لمطالب بريطانيا فى حوض النيجر ٠٠ وبالتالى قامت الحكومة البريطانية بمنح شركة النيجر الملكية سلطة ادارة الاراضى الواقعة فى حوض النيجر وملحقاته أى منطقة شمال نيجيريا كلها وكذلك سلطة عقد المعاهدات وفرض الضرائب وتحصيلها والاتجار فى محاصيلها وعقب ذلك وخلال الخمسة عشر عاما التالية فرضت الشركة احتكارا قاسيا على كل تجارة حوض النيجر ٠ وفى سنة ١٩٠٠ ألغت الحكومة البريطانية

الامتياز الذى كانت قد منحته للشركة وتولت هى الاشراف المباشر على المنطقة بأكملها وعين السير فريدريك لوجارد مندوبا ساميا هناك حيث قام باعلان محميةشمال نيجيريا بعد معركة حامية مع جيوش السلطان «أتاهيرو» سلطان سوكوتو ·

أما فى جنوب نيجيريا فقد كانت بريطانيا قد عينت قنصلا عاما لها سنة ١٨٤٩ بناء على طلب التجار البريطانيين ·· واتخذ القنصل مقرا له جزيرة فرناندو بو التابعة لاسبانيا وعهد اليه بالاشراف على النشاط التجارى فى مضايق بنين وبيافرا · وفى سنة ١٨٧٢ أضيفت اليه بعض الاختصاصات القضائية والادارية بما فيها توقيع الغرامات والعقوبات ضد الافريقيين الذين يقاومون التجارة «السلمية» ! وعقب مؤتمر برلين سنة ١٨٨٥ أعلنت بريطانيا رسميا وضع يدها على منطقة دلتا النيجر وتكوين محمية «انهار الزيت» Oil Rivers Protectorate وفى السنوات السبع التالية أوفدت بريطانيا قوات عسكرية وفرضت سلطتها بقوة السلاح ، كما عينت كثيرا من القناصل ونوابهم فى المناطق المختلفة ويخضعون جميعا لاشراف المندوب السامى والقنصل العام المقيمين فى كالابار القديمة ·

وقبل ذلك بأكثر من ثلاثين عاما أى فى سنة ١٨٦١ كانت بريطانيا قد استولت على لاجوس وأعلنتها مستعمرة تابعة لها زاعمة أن الغرض هو استخدامها قاعدة للقضاء نهائيا على تجارة الرقيق · وقد وضعت لمدة عشرين عاما بعد ذلك تحت اشراف المقيم البريطانى لغرب افريقيا الذى كان مقره فى سيراليون ثم تحت اشراف حاكم مستعمرة ساحل الذهب ثم أضيفت الى أراضى شركة النيجر الملكية سنة ١٨٨٦ حين انشاء محمية انهار الزيت · وفى سنة ١٩٠٠ تحولت محمية ساحل النيجر الى محمية جنوب نيجيريا وبعد سنوات ست أضيفت لاجوس الى محمية جنوب نيجيريا ·

وهناك ملاحظة أخيرة وهو أن اسم «نيجيريا» لم يعرف الا ابتداء من عام ١٨٩٩ حين استعمل فى مجلس العموم البريطانى أثناء مناقشة قانون شركة النيجر الملكية ، أما قبل ذلك فقد كانت هذه المنطقة من غرب أفريقيا يطلق عليها مسميات مختلفة أشرنا الى بعضها فيما سبق · ويقال ان أول من اخترع هذه التسمية هى جريدة التيمس البريطانية فى عددها الصادر بتاريخ ٨ من يناير سنة ١٨٩٧ حين أخذت فى مقال بها تناقش المسميات المختلفة وتوصلت أخيرا الى ابتكار هذا الاسم تمييزا للمنطقة عن غيرها من الاماكن ·

يجب التفريق فى هذا الخصوص بين هيئة الاشراف العليـا التى كانت تتكون كلها من بريطانيين وبين نظام الادارة المحلية التى يقوم بها الاهالى · وكانت هيئـة الاشراف تتكون من الحـاكم ونواب الحـاكم والبيروقراطية الاستعمارية والمقيمين وضباط المراكز وكذلك من الجيش والبوليس · وتحت هذه الهيئة العليا التى كانت تقوم برسم كل السياسات واصدار شتى القوانين كانت توجد أكثر من ٢٠٠ وحدة منفصلة من الحكومة المحلية (المسماة الادارة الاهلية Native Administration) ذات أنواع وأحجام مختلفة ·· وكلها ذات سلطات محدودة وتخضع للاشراف المركزى من الهيئة الحاكمة البريطانية عند ممـارسة سلطاتها · وكانت الادارة المحلية أو الاهلية كما يقولون تتكون كلهـا من الافريقيين · والحق أن نيجيريا الحالية سواء فى وحدة أجزائها الثلاثة أو فى كل جزء من أجزائها هى من صنع البريطانيين فهم الذين خططوا الحـدود الكلية التى تحيط بنيجيريا كلها تخطيطا تحكميا لا يستند ـ كما هو الحال فى معظم دول أفريقيا ـ على أساس طبيعى سليم ·· وهم الذين وضعوا أيضا حدود كل اقليم من الاقاليم الثلاثة · وذلك منذ سنة ١٩٠٠ ففى هذه السنة كانت المنطقة التى تعرف اليوم باسم نيجيريا مقسمة الى ثلاث مستعمرات منفصلة (مستعمرة لاجوس ومحميتى شمال وجنوب نيجيريا) كحكم كلا منها حاكم مسئول مباشرة أمام السلطات العليا فى المملكة المتحدة · وفى سنة ١٩٠٤ ضمت مستعمرة لاجوس ومحمية جنوب نيجيريا ووضعتا تحت ادارة حاكم عام واحد هو السير والترايجرتون ·· وظلت كل من نيجيريا الشـمالية ونيجيريا الجنوبية تحكم حكما منفصلا بعد ذلك حتى سنة ١٩١٤ حـين أدمجت مستعمرة لاجوس ومحميتا شمال وجنوب نيجيريا ووضعت كلها تحت اشراف حاكم عام واحد وأدمجت فى وحدة سياسية موحدة سميت مستعمرة ومحمية نيجيريا وجعلت لاجوس عاصـمة لها · وكان الرابط الوحيد فى الوحدة السياسية لهذه الدولة هو شخص الحاكم العام الجديد السير فردريك لوجارد · فقد ظل كل اقليم محتفظا بطابعه الادارى الخاص وظلت لاجوس وضواحيها تعتبر مستعمرة بريطانية يتمتع سكانها بالرعوية

البريطانية كما طبق فيها القانون الانجليزى ·· أما محمية الجنوب فقد انقسمت اقليمين : الاقليم الشرقى والاقليم الغربى يفصل بينهما نهر النيجر ويحكم كلا منهما نائب حاكم يخضع مباشرة للحاكم العام ويتبعه عدد من الموظفين البريطانيين يتولون كل المناصب الكبيرة والحساسة ·

وبالرغم من أن مبادىء الحكم المحلى الأعلى التى كانت متبعة فى الاقليم الشمالى كانت قد أخذت تتسرب ببطء للجنوب أيضا ·· فان السياسات والنظريات التى تشبعت بها الادارة الاستعمارية والتى طبقت خلال الأربعة عشر عاما التى ظل فيها الشمال والجنوب منفصلين ·هذه السياسات والنظريات استمرت بعد ادماجهما فى كيان سياسى موحد تسيطر على الفكر والعمل الرسمى للحكام المستعمرين ·

وقد ساعد على ذلك أن الادارة البريطانية فى كل من الشمال والجنوب كانت منفصلة تماما الواحدة عن الاخرى ولم يكن كبار الموظفين فى كل من الجهتين يجتمعون معا الا مرة واحدة فى العام فى الدورة السنوية للمجلس التشريعى بلاجوس · بل انه كانت هناك لغتان رسميتان مستعملتين احداهما فى الشمال وهى الهوسا والاخرى فى الجنوب وهى الانجليزية والحقيقة أن الفروق الحادة فى الثقافة بين شعبى الشمال والجنوب توضح أن الاقليمين لم يكونا أبدا متحدين فى الماضى ·

وبذلك فانه عندما قامت الحرب العالمية الثانية كانت نيجيريا مقسمة صناعيا الى أربعة أقاليم ادارية هى : مستعمرة لاجوس ، والاقليم الغربى ، والاقليم الشرقى ، والاقليم الشمالى ·

وخلال الحرب أدى نقص الموظفين الاداريين بالاقاليم بجانب تضخمهم فى لاجوس الى أن تقوم الحكومة مضطرة بنقل كثير من السلطات والاختصاصات من يد السلطة الاستعمارية المركزية فى لاجوس الى يد السلطات الفرعية بالاقاليم الاخرى · وما أن انتهت الحرب حتى أصبح كل من الاقاليم يتمتع بشىء من الفردية والاستقلال · وقد تدعم هذا الاستقلال بعض الشىء بصدور دستور ريتشارد سنة ١٩٤٦ الذى أعطى كل اقليم بعض السلطات الواسعة نسبيا · وجاء دستور سنة ١٩٥١ ليؤكد ذاتية كل اقليم عن الآخر وتجميعهم جميعا فى نظام شبه فيدرالى · وفى السنة نفسها أدمجت مستعمرة لاجوس فى الاقليم الغربى وأصبحت جزءا منه · أما دستور سنة ١٩٥٤ فقد أعطى الاقاليم مزيدا من الاستقلال الذاتى داخل اتحاد نيجيريا الفيدرالى وجعل من لاجوس عاصمة رسمية للاتحاد ·

والكتاب الانجليز وبعض الغربيين يقولون انه لاول مرة لا تطبق

انجلترا فى نيجيريا مبدأ «فرق تسد» الذى تطبقه فى كل مستعمراتها لتحكم قبضتها عليها ‥ ويستندون فى ذلك الى أن نيجيريا كلها من صنع بريطانيا ‥ فهى التى خططت حدودها السياسية وهى التى رسمت أقسامها الثلاثة وألغت الخلافات القبلية والعنصرية التى كانت موجودة فيها من قبل ‥ وهى التى قادت البلاد فىطريق الحكم الفيدرالى ‥ تمهيدا لاندماجها بعد ذلك فى دولة بسيطة واحدة ٠

ولو نظرنا بعمق الى سياسة بريطانيا هناك ٠ لوجدنا سطحية هذه الادعاءات وبعدها عن الحقيقة ٠ فبريطانيا حين اقتسمت الاقليم الشمالى وأخذت تتدخل فى شئونه فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر لم يكن يعانى شيئا من الخلافات القبلية بل كانت تسيطر عليه امارات قوية تطبق شريعة الاسلام السمحة العادلة وتنشر فى ربوعه الامن والاستقرار وكانت الامارات هى الخليفة للدولة الضخمة التى أنشأها فى مطلع القرن التاسع عشر السلطان عثمان دان فوديو ٠

وأما بالنسبة للجنوب فقد مر بنا بيان مدى النكبات التى جلبها عليه البريطانيون وغيرهم من الاوربيين طوال قرون أربعة من جراء تجارة الرقيق التى أدت الى اختطاف الملايين من أبنائه وما تبع ذلك من انهيار كافة الروابط الاجتماعية به وتدمير اقتصاده ٠

والحق انه بعد انتهاء تجارة الرقيق‥ تحولت انجلترا الى استنزاف ثروات الاقليم الاقتصادية مثل نخيل الزيت والفول السودانى والكاكاو والمعادن وغير ذلك وتألفت لذلك كما مر بنا شركة النيجر البريطانية الملكية وقد أغرى اتساع الاراضى فى الاقليم الشمالى وخصوبتها وكذلك خلوه من الغابات الاستوائية الكثيفة والمستنقعات الموجودة بالاقليم الجنوبى ٠ ودرجة الرقى الزراعى الذى كان عليه أهله أغراهم ذلك بالتدخل فى شئونه ثم احتلاله واعلانه محمية ولما كانت منتجاته لايمكن نقلها الى أوربا الا عن طريق الجنوب (وذلك بعد توقف طرق القوافل القديمة الى الشمال الافريقى) حتى تصل الى شاطىء المحيط فقد أصبحت المنطقة تشكل فى نظر المستعمر وحدة اقتصادية يكمل بعضها بعضا ولا غنى عنها لاقتصاده واشباع أطماعه ‥ ومن ثم أقبل على جعلها وحدة سياسية موحدة مبقيا برغم ذلك على مبدئه التقليدى فى التفرقة والتقسيم فى صورة الاقاليم الثلاثة ٠

ومما يدل على ذلك أن المستعمر لم يبذل جهودا تذكرلادماج الجماعات التقليدية مثل اليوروبا والتيف وغيرها فى بعضها وحملها على التفاهم

وتقليل الخلافات القائمة بينها ·· بل بالعكس أنشأ لكل منها مجالس خاصة مثل «مؤتمر رؤساء اليوروبا» Conference of Yoruba Chiefs ومجلس التيف المركزى Tiv Central Council ومجلس الايدوما المركزى Idoma Central Council واتحـــاد الايـكيتى Ekiti Confederation

كما تجلى ذلك أيضا فى القيود الكثيرة التى فرضت على تنقلات أبناء كل اقليم من منطقة لاخرى ·· وخاصة من المناطق المزدحمة مثل مناطق الأيبو Ibo الى المناطق الاقل ازدحاما مثل الاقليمين الغربى والشـمالى وكذلك فى عدم قيام البريطانيين بالغاء نظام الملـكية التقليدى للارض لتسهيل اعادة توزيع السكان وكذلك فى تشجيعهم للاشكال والعـادات والولاءات القديمة وابقائهم عليها ·

حتى الاستثناء الوحيد الذى يمكن أن يساق كدليل على رغبة الانجليز فى توحيد البلاد وهو المجلس التشريعى النيجيرى الذى كان موجودا قبل سنة ١٩٤٥ والذى كان يضم ممثلين لمختلف انحاء البلاد ·· هذا الاستثناء يهدمه أن المجلس التشريعى المذكور كان مقصورا على الاقليمين الجنوبيين فقط فلم يكن به ممثلون للاقليم الشمالى · بل ان تمثيل الاقليم الغربى به كان تمثيلا قاصرا وليس على قدم المساواة مع الاقليم الشرقى ·· كما ظلت الوظائف الكبيرة حتى سنة ١٩٤٥ ، وقفا على الانجليز وحدهم دون النيجيريين الذين لم يكونوا يشغلون غير وظائف الكتبة والعمال البسيطة ·

وقد أدى ابقاء الانجليز على العادات والولاءات والتعصبات القديمـة وتشجيعهم لها وكذلك قفل بعض الاقاليم مثل الاقليم الشمالى بالذات ضد مظاهر التقدم العلمية الحديثة كالمدارس والمستشفيات ومختلف مظاهر الثقافة أدى ذلك الى :

١ ـ ان استجابة الجماهير لاى عمل جماعى كان فى معظم الاحيان استجابة لعمل عشائرى أو قبلى ·

٢ ـ اتساع الفروق بين الاقاليم وبعضها فى ميدان التقدم الثقافى والاجتماعى ·· فقد أهمل الانجليز عامدين الاقليم الشمالى لما وجدوه من أهله المسلمين من صلابة ضد مبشريهم وتجارهم بينما بذلوا بعض العناية بالاقليمين الجنوبيين ··· واصبح هذان يفوقان الاقليم الشمالى فى درجة تقدمهما وبالتالى اتسعت شقة الخلاف بين الشماليين والجنوبيين ·

٣ ـ قيام الاحتكاكات الدائمة بين العناصر المختلفة التى تقطن نيجيريا مثل الاحتكاكات التى تقوم بين اليوروبا والايبو ومثل الاعتداءات المستمرة التى يقوم بها أهل الجنوب على جاليات المسلمين الشماليين المعزولة التى

تقيم بين ظهرانيهم · وكذلك الاحتكاكات المستمرة بين المسلمين سكان الاقليم الشمالى وبين أقليات الايبو واليوروبا التى تقيم بينهم ·

ننتقل بعد ذلك للحديث عن مظهر آخر من مظاهر التنظيم الادارى فى نيجيريا وهو تقسيم الاقاليم الى مديريات أو محافظات Provinces وتقسيم هذه بالتالى الى مراكز ·· وذلك باشراف مقيمين وضباط مراكز من البريطانيين · وحدود هذه الاقسام الفرعية رسمت بقدر الامكان بحيث تتبع الحدود الارضية للوحدات السياسية المحلية ·· بل كثيرا مارسمت حدود هذه الاقسام بحيث يضم الواحد منها كل المنتمين الى قبيلة معينة فقط مما يؤدى بالتالى الى انعزال أفراد هذا المركز عن باقى أبناء البلاد واتجاه ولائهم ناحية القسم أو القبيلة وحدهما · وعندما احتل البريطانيون شمال نيجيريا سنة ١٩٠٠ وجد لوجارد أن النظام المطبق فى مستعمرة لاجوس لايصلح للتطبيق فى الشمال ·· ذلك ان لاجوس اقليم صغير لايشمل غير العاصمة وضواحيها ·· أما الشمال فاقليم شديد الاتساع · ولذلك فقد وضع لوجارد هذه الحقيقة أمام عينيه الى جانب حقيقة أخرى وهى نقص الارصدة المالية والموظفين الذين فى حوزته ·· وفى الوقت نفسه وجد امامه امارات قوية حسنة التنظيم هى أجزاء لامبراطورية عظيمة تكونت قبل مجيئه بقرن واحد هى امبراطورية الفولانى التى أسسها السلطان عثمان دان فوديو ·· ومن ثم فانه لم يجد مانعا من الابقاء على هذه الامارات واستخدامها كأدوات للحكم الاستعمارى · وفى السنوات العشر التى تلت ذلك وضع لوجارد نظاما للادارة المحلية اشتهر بأنه نظام للحكم غير المباشر · وكانت الملامح الخارجية لنظام الادارة المحلية هذا هى المحافظة على التنظيمات السياسية التقليدية وتطويرها تحت اشراف الادارة البريطانية لتتلاءم مع مطالب الوحدات الحديثة للحكومة المحلية · وقد طبق هذا النظام بعد ذلك سنة ١٩١٤ فى الجنوب ·

ولقد نجح هذا النظام نجاحا باهرا فى الشمال لعدة أسباب أولها هو أن البريطانيين كانوا يشرفون على نظام متأصل وعلى درجة عالية من المقدرة والكفاءة له جذوره التى ترجع الى قرن مضى منذ انشاء امبراطورية الفولانى وقد اعتاده الناس وألفوه وأصبح جزءا من حياتهم ·· والثانى هو وجود نظام ثابت قديم لفرض الضرائب وجمعها وجدت الحكومة الاستعمارية أنه يفى تماما بحاجتها وليس من داع لتغييره · ولكن هذا النظام لم يلق فى الجنوب نجاحا يذكر لعدم توافر الاسباب التى ذكرناها فيما سبق وان كان نجاحه فى الاقليم الغربى قد فاق نجاحه فى الاقليم الشرقى ·

عرض سريع لطرق المواصلات التى تربط الشمال بالجنوب

ان الغرض الرئيسى من الاستعمار هو الاستغلال الاقتصادى لموارد البلاد لصالح المستعمر ٠٠ ولكى يتحقق هذا الاستغلال وتنمية المصالح الاقتصادية البريطانية فى نيجيريا كان من الضرورى أن ـ يمسك البريطانيون بزمام السياسة فى البلاد ثم بناء شبكة من المواصلات بمختلف أنواعها تربط المناطق المنتجة للمواد الخام والمحاصيل بالموانى أو نقط التصدير وبعد ذلك اتخاذ عملة رسمية للبلاد ثم تشجيع الافريقيين أهالى البلاد على انتاج محاصيل التصدير الاستوائية وأخيرا ايجاد رغبة عامة لدى الأهالى لاستهلاك البضائع الأوربية وخاصة الانجليزية حتى تصبح البلاد سوقا طيبة لبيع منتجات مصانع المستعمر ٠٠ وهذا بلا شك هو احدى وجهى العملة بعد الوجه الآخر الذى ذكرناه عن جعل البلاد حقلا لانتاج المواد الخام الرخيصة ٠٠ وكون البلاد سوقا لبيع منتجات المستعمر يستتبع بالتالى عدم تشجيع اقامة أية صناعات انتاجية فى البلاد الا بعض الصناعات التافهة التى لا تعوق بيع البضائع الاوربية ٠

وحينما أصبح جوزيف تشمبرلين وزيرا لوزارة المستعمرات البريطانية سنة ١٨٩٥ قام بجهود جبارة فى تنفيذ الخطوات التى سبق أن تحدثنا عنها ٠٠٠ فتحت اشرافه نفذ البريطانيون الشطر الاول سنة ١٩٠٠ حين أكملوا احتلال البلاد ٠ أما بالنسبة للمواصلات فقد بدأ العمل على تحسينها منذ سنة ١٨٩٦ ٠ وقد تم مد خط السكة الحديد من لاجوس الى ايبادان وطوله ١٩٠ ميلا سنة ١٩٠٠ وتم الخط من لاجوس الى كانو بالاقليم الشمالى وطوله ٧٠٤ أميال سنة ١٩١١ وخلال الخمسة عشر عاما التالية أضيف الى السكة الحديد خط جديد طوله ٦٠٠ ميل وصل مدينة كانو بميناء هاركورت بالاقليم الشرقى ٠ وفى سنة ١٩٣٦ كان طول خطوط السكة الحديد فى نيجيريا قد بلغ ٢١٧٨ ميلا وفى الوقت نفسه كان يجرى باستمرار تحسين مينائى لاجوس ويورت ـ هاركورت ٠ وقد أصبح ميناء لاجوس الآن هو المخرج الرئيسى لمنتجات الاقليمين الغربى والشمالى ٠ وحين اكتشفت مناجم الفحم فى أودى ـ

Udi سنة ١٩١٢ أنشىء ميناء هاركورت لتصدير هذا الفحم وكذلك لتصدير منتجات حوض نهر بينى Benue.

وخلال العشرين سنة الأولى من حكم الاستعمار لم تشق الا طرق قليلة جديدة ففي سنة ١٩٠٦ لم يبلغ طول الطرق المهدة أكثر من ثلاثين ميلا · وفى سنة ١٩١٤ جاء فى تقرير رسمى عن حالة الطرق بالبلاد أنه « بعيدا عن خط السكة الحديد ليس هناك من وسيلة لنقل البضائع الا على رءوس الحمالين » وبعد الحرب العالمية الأولى اكتشف أن السيارة الخفيفة التى كانت تنتجها مصانع فورد يمكن أن تتحمل السير فى الطرق المعشوشبة غير المهدة ··· ولذلك أخذت نيجيريا تمتلىء بهذا النوع من السيارات حتى بلغ الموجود منها فى لاجوس وحدها سنة ١٩٢٣ أكثر من ٦٠٠ سيارة ·· وكان استيراد السيارات هو الحافز على تمهيد الطرق فما وافت سنة ١٩٢٦ حتى بلغ طول الطرق أكثر من ستة آلاف ميل وفى السنوات العشر التالية تضاعف هذا الرقم ثلاث مرات ·· وفى سنة ١٩٥٠ كان الرقم قد ارتفع الى أكثر من ٢٨ ألف ميل · وبرغم قلة هذه المسافة تماما بالنسبة لمساحة نيجيريا الهائلة ·· فاننا نلمح وراء انشائها جشع المستعمر الذى بينه ماجاء فى تقرير رسمى يقول « ان الأهميـــة الحقيقية لهذه الطرق أنها تعمل متفرعة من خطوط السكة الحديد وذلك لفتح مناطق جديدة أمام التجارة البريطانية ·· كما أن السيارات تقدم خدمة جليلة اذ تعمل على نشر زراعة الكاكاو بين الأهالى الذين يجدون فى السيارة وسيلة رخيصة لنقله » · وكذلك أقيمت شبكة كبيرة من خطوط التليفون والتلغراف ·

وكانت نتيجة هذا التقدم فى وســـائل المواصلات من الناحية الاقتصادية نتيجة سريعة وفعالة · فبداية تصدير الرصاص والقطن والفول السودانى كانت نتيجة مباشرة لمد خطوط السكة الحديد ولكى نتصـــور مدى صعوبات التصدير قبل هذا التقدم فى المواصلات ··· يكفى أن نعرف أن خام الرصاص كان ينقله خمس وعشرون ألف حمال على رءوسهم مسافة ٢٠٠ ميل حتى يصل من مناجمه الى ميناء التصدير · وعندما وصلت الســـكة الحديد الى كانو سنة ١٩١١ ارتفع المصـــدر من الفول السودانى من ١١٧٩ طنا الى ١٩٢٨٨ طنا فى العام · كما ان الطرق والسكك الحديدية انقذت نيجيريا من خطر الاعتماد على محصول واحد للتصدير ·· فبينما كانت نسبة منتجات النخيل من زيت وخلافه الى مجموع الصادرات ٨٢٪ سنة ١٩٠٠ أصبحت هذه النسبة ٣١٪ سنة ١٩٣٧ ·

وهناك ملاحظة أخيرة هامة بالنسبة للمواصلات ٠٠ هى أن جميع أنواع المواصلات فى نيجيريا سواء أكانت جوية أم نهرية أم بحرية أم تليفونية أم تلغرافية تتجه الى ربط نيجيريا بأوربا وليس بالدول الافريقية المجاورة حتى أنك اذا أردت السفر بالطائرة مثلا الى أى بلد مجاور لنيجيريا مباشرة فلابد من أن تسافر الى أوربا أولا ومن هناك تعود فتسافر الى البلد الافريقى الذى تقصده ٠ وكذلك الحال بالنسبة للتليفون أو التلغراف فلابد أن تتصل بلندن أولا قبل أن تتحدث الى من تريد فى البلاد الافريقية المجاورة ٠ والغرض من ذلك طبعا واضح وهو أن يفصم المستعمر تماما بين الافريقى والأفريقى ويجعله معتمدا دائما على أوربا فى كل شىء ٠

٥ - هذا الرجل .. أحمد ويلبو

المولد والنشأة

على بعد ستمائة ميل من المحيط وعلى نقطة تقع على نهر سوكوتو الذى يعتبر أحد روافد نهر النيجر وفى منطقة خصبة تمتلىء بالمستنقعات والمزارع تقع مدينة سوكوتو على الضفة الجنوبية للنهر وهنا يبلغ اتساع النهر فى وقت امتلائه بمياه الفيضان حوالى ربع ميل اما فى فصل الجفاف فانه يقل عن ذلك كثيرا وان كانت المياه لاتنقطع منه. ومدينة سوكوتو أنشئت سنة ١٨٠٩ على يد السلطان بللو الجد الأكبر للحاج أحمدو بللو وابن الشيخ عثمان دان فوديو الابن الاكبر لفوديو الكبير مؤسس هذه الأسرة العريقة .

وعلى بعد حوالى ٢٠ ميلا أعلا النهر على الضفة الشمالية للنهر توجد مدينة رباح التى ولد فيها الحاج أحمدو بللو سنة ١٩١٠ وكان أبوه هو زعيم الاقليم أو كما يسمونه هناك زعيم المركز . وكان يوجد فى امارة سوكوتو بشمال نيجيريا ثمانية وأربعون زعيما اقليميا أبوه كان واحدا منهم .

وحين ولد أحمدو بللو لم يكن قد انقضى غير سنوات سبع على طرد المستعمرين البريطانيين للسلطان « أتاهيرو ـ Atahiro » من عاصمته فى امارة سوكوتو ثم الاشتباك معه فى معركة فاصلة ومعه عدد صغير من أتباعه على حدود اقليم بورنو حيث قاتلوا قتال الأبطال وسقطوا جميعا شهداء الواجب أمام جيوش الغاصبين المعتدية . ولقد وجد اللواء الذى كان يرفعه بجانب جثمانه الطاهر ونقله المستعمرون الى انجلترا ثم استعاده السلطان الحالى سنة ١٩٦١ بعد أن تم الاستقلال لنيجيريا وسلم له فى احتفال كبير .

وكان والد أحمدو بللو هو الوارث الشرعى لعرش سوكوتو

لذلك كان مقصد رجال الادارة البريطانيين وموضع نفاقهم ·

وكان والد احمدوبللو أيضا مسئولا عن ستين قرية موزعة على ثمان مناطق ريفية تضم جميعا حوالى ثلاثين ألفا من المواطنين · ولم تكن النظـم الادارية على شيء من التعقيـد فى تلك الايام · فـلم تكن توجـد سجلات غير قوائم الضرائب المطلوبة من أهالى القرى والتى يتولى تحصيلها رؤساء القرى · ولم يكن يوجد بوليس منظم كما هو الحال اليوم وانمـا كان رؤساء القرى مسئولين أمام السلطان عن اقرار الأمن واستتبابه ويتم القبض على المجرمين بوساطة أتباعه وخدمه وكان يوجد قاض وطنى يسمى الكالى Alkali هـو الذى يتـولى الفصل فى المنازعات ومحاكمة المذنبين · وكان هذا القاضى رجلا مسـنا طيبا ولكن الأطفال كانوا يرهبونه ويبتعدون عن طريقه ويقول احمدوبللو ان السيدات كن يخفن أولادهن بالتهديد بارسالهم اليه · ولم تكن المحكمة غير بناء من اللبن عار من كل أثاث الا منصة عالية يجلس عليها القاضى وكان من الممكن أن تستأنف الاحكام أمام سلطان سوكوتو وان كان الناس غالبا يقبلون حكم القـاضى ويرضون به · وبالقرب من منزل أسرة احمدو بللو فى المدينة الصغيرة كان يوجد النهر الذى تنتشر على صفحته مجموعات من النباتات المائية عامرة بالأسماك ولكنها أيضا عامرة بالبعوض ــ الناقل للملاريا التى لم يكن أحد يعرف عنها شيئا فى تلك الأيام · وكان النهر عامرا بالقوارب الصـغيرة التى كان يحب الطفل احمدو بللو ورفاقه ركوبها ولكن فى موسم الأمطار تعلو مياه النهر حتى تهدد مسـاكن القرية وتسمع زمجرة الميـاه من مسافات بعيدة ويصبح موضع رعب الكبار والصغار ·

وكان والد احمدو بللو غنيا يملك مزارع خصـبة واسعة تغل له كميات كبيرة من الحبوب وخاصة الذرة وقمح غينيا · وبذلك استطاع أن يجتاز بأمان فترة المجاعة الكبرى التى وقعت قبل عام ١٩١٤ حين هلك مئات الآلاف من الناس بعد أن شحت الأمطار وجفت الارض لأنها لم تجد حاجتها من المياه ·

ولم يكن أحب الى نفس الطفل احمدو بللو من مواسم الحصـاد حيث يشترك في درس المحصول ثم نقله الى الصوامع الكبيرة المصنوعة من الطمى بمنزلهم حيث يحفظ هناك شـهورا طويلة دون أن يتعرض للتلف ··· وكان الحطب المتخلف عن المحصول يستعمل فى صنع الأسقف والحوائط والاسوار ، والاوراق تستعمل غذاء للماشية كما يستخرج منهما نوع من الصبغة ·

وفي الليـــالي المقمرة كان أهل القـرية يجتمعون وتقام حفلات الرقص على أنغام الطبول والمزامير ٠٠ وفي بعض المناسبات كانت تحضر فرق خاصة مدربة من سوكوتو يحتشد الجميع للاستمتاع بما تقدمه من رقصـــات وألحان تستولى على البابهم كمـا يحضر.الحواة ويعرضون فنونهم وألعاب الذئاب والقردة وباقى الحيوانات التي معهم ٠

وكان احمـــدوبللو الطفـــل والصبى يخرج مع الصيادين لصيد الظباء والحيوانات الاخرى فى الاحراش القريبـة من المدينة الصـغيرة وكانت الأسلحة التى تستعمل فى الصيد هى السهام والحراب والسكاكين الطويلة ٠ وكان الصيادون يحملون التمائم والتعاويز والاحجبة لحمايتهم من الاخطار ومن الارواح الشريرة التي يتخيلونها تملأ الأدغال ويقول أحمدو بللو : إن الصـــيادين كانوا يقولون له « اذا قابلت أسـدا وأنت وحيد بالغابة فقف ساكنا ثم ضع ما تحمله من سلاح على الارض وتقدم خطوتين أو ثلاثا فى اتجـــاه الاسد ثم اركع على الارض وقدم له فروض الطاعة ٠ انه أولا وأخيرا ملك الغابة بلا منازع ٠ وبعد ذلك تستطيع أن تتراجع وتلتقط أسلحتك ثم تسير في طريقك ولن يمسك الأسد بعد ذلك بسوء ٠

وكان الأطفال فى ذلك الوقت لا يعرفون اللعب الميكانيكية أو الخشبية المتداولة اليوم ولذلك كانت وسيلة تسليتهم هى الاستماع للقصـــص والحكايات ٠

وكان منزل الأسرة فى رباح كبيرا تقع فى مدخله قـــاعة واسعة تعلوها قبة كبيرة يجتمع فيها الوالد مع كبـــار السن بالمدينة وأتباعه المخلصين وينظر شئون الاقليم ويستقبل رسل السلطان وخلف هذه القاعة يوجد المسكن الخاص لرب الاسرة وجناح النساء حيث تقطن والدة احمدو بللو وباقى الزوجات مع خدمهن وكذلك توجد حظائر الخيل ٠

وكانت جدة أحمدو بللو لوالده ابنة الامير داءو امير كانو أما والدته فاحدى سيدات سوكوتو ٠ وفي ذلك الوقت كان لاحمدو بللو عشرة اخوة من الذكور وخمس عشرة من الاناث كلهم غير اشـــقاء ٠ وكان الجميـــع يلقون عناية كبيرة ولكن اذا مرض أحدهم فليس له من علاج الا الصلوات وشرب المياه المذاب بها بعض التمائم والتعاويذ ولذلك لقى بعض الاخوة حتفهم ولم يبق منهم اليوم على قيد الحياة الا ثلاثة أخوة وسبع اخوات ٠

وخارج المدينة الصـــغيرة فى الناحية الشمالية كانت توجد الاستراحة

التى ينزل فيها الموظفون البيض مثل مفتش المركز والمقيم العام .

وفى سن الخامسة أرسل احمدو بللو وأخوه « مالامى » الذى كان يكبره بستة شـــهور الى العريف آو الفقيه الذى كان يســمى المعـلم Mallam وكان اســـمه المعـــلم جاربـا Mallam Garba وتحت ظل شجرة أو داخل الكتاب الخـــاص به كان يجلس وحوله حـــوالى أربعون طفلا يعلمهم ما يعرفه عن اللغة العربية ويحفظهم القرآن عن ظهر قلب ·· كانوا يكتبون دروسهم على ألواح خشبية وبأقـلام من البسط يغمسونها فى نوع خاص من الحبر يصنعونه بأنفسهم وبعد أن تمتلىء الالواح يغسلونها بالماء فتزول الكتابة ويعاد استعمالها من جديد وهكذا .

ويقول احمدو بللو انه لم ير كتابا مطبوعا حتى ذهب الى المدرسة، حتى الجرائد والمجلات لم يرهـــا الا فى أيدى الموظفين البيض ولم يتفرج بها الا على صور الملك والملكة أو الجنود وكانت نفقات التعليم تدفع للمعلم الفقيه عينا فى شكل حبوب آو لحم أو طعام مطبوخ . وكان بعض الناس يعطونه قطعة من القماش أو قطعة حصـــير نصف جديدة وكان ينجح غالبا فى حفظ النظام .. ولكن عندما يغضب يعمد الى ضرب التلاميذ وحينئذ يهربون كلهم من أمامه ولا ينال الضرب الا سيىء الحظ الذى يقع بين يديه وكانوا يخشون أن يشكوهم لآبائهم · ولكنه كان رجلا طيبا سرعان ما ينفثىء غضبه وتصفو نفسه ·

وتوفى والد الطفل احمدو بللو وهو فى السادسة من عمره ... فتولى زعامة المركز عمه الذى طرده الانجليز بعد ثمانية عشر شهرا فتولى الزعامة اخو احمد غير الشقيق . ولكن احمد ووالدته استمرا يعيشان فى منزل الاسرة دون تغيير .

وبعد أن امضى عامين مع الفقيه المعلم قرر اخوه الاكبر ارساله الى المدرسة النظامية فى سوكوتو فذهب هو وأخوه الذى يدانيه فى العمر وهناك كان النظام يختلف تماما عن كتاب القرية الذى تلقى فيه معارفه الاولى . وفى يوم الرحيل امتطى هو ووالدته ومفتش المركز الانجليزى ومرافقوه صهوات الجياد بينما وضع الحمالون الامتعة فوق رءوســهم وخرجت القرية لتوديعهم وبدأت الرحلة وسط النحيب والبكاء والدعوات بسلامة الوصول .. ولم يستعملوا النهر لانه لا يصلح للملاحة . وعندما آذنت الشمس بالمغيب كانوا قد قطعوا العشرين ميلا التى تفصل بين رباح مهدالطفولة وبين سوكوتو مهد الصبا ·· حيث المدرسة الجديدة والوسط الجديد .

والد احمدو بللو هو ابن أبى بكر الذى كان يعرف باسم «اتيكونا رباح Atiku Na Rabah» والذى كان السلطان السابع لسوكوتو حكمها مدة أربع سنوات بدأت سنة ١٨٧٣ ومرت دون حادث يذكر وكل اخوات جد احمدو بللو « اتيكو » كانوا سلاطين . فخمسة منهم سبقوه على عرش سوكوتو والسادس وهو أصغرهم سنا هو الذى خلفه . ووالد الجد هو السلطان بللو ابن الشيخ عثمان دان فوديو الزعيم الشهير « والمصلح العظيم » كما يلقبونه .

ولقد ولد الشيخ عثمان دان فوديو سنة ١٧٤٤ فى مملكة قديمة كانت تعرف حينئذ باسم جبير Gobir وتقع شمالى نهر سوكوتو . ولم يكن عثمان دان فوديو زعيما وقائدا فحسب ولكنه كان داعية ومصلحا كبيرا شبيها بجون ويسلى Gohn Wesley واوليفر كروموبل فى انجلترا ، ذلك انه نشأ وسط مجتمع ليس له من الاسلام الا الاسم فقط اذ أصاب العقيدة كثير من الخلط والاضطراب ودخلها كثير من العقائد الوثنية . وأعلن الشيخ عثمان حربا مقدسة ضد هؤلاء الذين يتجرون بالعقيدة المستغلين لها وبدأ سنة ١٨٠٤ بمناهضة « زعيم جبير » الذى كان واحدا من أسوأ هؤلاء المستغلين . واستمرت هذه الحرب المحلية بعض الوقت حتى سقطت عاصمة جبير ودمرت سنة ١٨٠٨ وخلال هذه الفترة نظم الشيخ عثمان عددا من الثورات فى كل دول الهوسا الكبيرة فكان أفراد شعب الفولانى الذين يعيشون فيها يثورون ويسقطون ملوك الهوسا ثم يعين الشيخ مكانهم حكاما جددا يختارهم اما من بين القادة المنتصرين أو من شخصيات شعب الفولانى الهامة وبذلك استطاع الشيخ عثمان دان فوديو أن يخضع لسلطانه ثلثى الاقليم الشمالى الحالى من نيجيريا بصفة مباشرة وبعد وفاته انتقلت السلطات الى ولده السلطان بللو .

ولقد امتدت مملكة شعب الفولانى حتى شملت مناطق كبيرة من غانا الحالية غربا ومناطق من جمهورية الكاميرون .

ولما كان من العسير على رجل واحد أن يدير هذه المملكة الواحدة .. فقد قسم الشيخ عثمان دان فوديو هذه المملكة الواسعة الى قسمين . الاول عاصمته المدينة القديمة جواندا Gwanda على بعد مائة

ميل جنوب غرب مدينة سوكوتو وان كانت تقع أيضـا فى وادى نهر سوكوتو . وقد جعل من أخيه عبد الله أميرا عليه . ولقد انتقلت العاصمة بعد ذلك الى « برنين كبى Bernin Kebbi » ولـكن العـائلة ما زالت تتوارث عرش الاقليم . والامير الحـالى الحاج هارونا رئيس مجلس الزعماء الذى هو من أبناء اعمام الحاج احمدو بللو البعيدين ينحدر مباشرة من نسل عبد الله .

هذه الامبراطورية الغربية كما كانت تدعى امتدت منحدرة مع النيجر وشـملت مملـكة نيـوبى Nupe ثم ربا Raba والورين Ilorin وهذا الجزء من دولة الفولانى هو الذى دخل فى حروب طويلة ضـد اليوروبا دارت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

والامبراطورية الاخرى ــ وهى الشرقية التى اتخذت سوكوتو عاصمة لها ــ شـملت دول الهوسـا الكبيرة حتى بينيو فى ناساراوا ومورى ويولا . ولم يكن هناك اتصال مادى على الاطلاق بين هذه الامبراطورية وبين شعب الاقليم الشرقى الحالى من نيجيريا .

وعندما دخل الاستعمار البلاد ادمجت المملكتان فى بعضهما وأصبح نفوذ كل من امارة سوكوتو وامارة جواندا مقصورا على أراضيها المحلية فقط ولكن امارات الهوسا استمرت حتى اليوم كما أنشئت فى عهـد الشيخ عثمان دان فوديو . وانشأ مدينة سوكوتو السلطان بللو سنة ١٨٠٨ ووالده على قيد الحياة . وتوفى الشيخ عثمان دان فوديو ودفن بها واصبح قبره مزارا .

وكان السلطان بللو رجلا مطلعا محبـا للعـلم والقراءة وقد فرح أيما فرح حين أهـداه الرحـالة الانجليزى « الـكوماندر كلا برتون Commander Glapperton » بعض الكتب باللغـة العربيـة من بينها كتاب اقليدس عن الرياضيات كما الف بضع كتب بالعربية عن تاريخ شعب الفولانى والحكومة المحلية هناك . وقد ظل متربعـا عـلى عرش الامبراطورية الشرقية زهاء عشرين عاما حتى مات واستطاع خلال حكمه أن يخمد الثورات التى قامت ضده فى جبير وزامفارا وأن يحافظ على مملكته الواسعة رغم بعد المسافات التى كانت تفصل بين أجزائهـا فالمسافة بين كانو وسوكوتو كانت تستغرق فى ذلك الوقت مثلا عشرين يوما .. وبين يولا وسوكوتو حوالى أربعين يوما .

وقد تداول على كرسى العرش فى سلطنة سوكوتو حتى الآن منذ

السلطان بللو ستة عشر سلطانا كان من بينهم تسعة من نسله ذلك ان اختيار السلطان ليس مقصورا على عائلة دان فوديو فقط وانما يجتمع « مجلس اختيار الملك » ويختار أصلح المرشحين للمنصب الذى قد يكون من عائلة السلطان السابق أو من عائلة أخرى تدانيها فى العراقة والنسب . ويجب الآن أن يقر الحاكم العام لنيجيريا هذا الاختيار .

وفى ١٣ من مارس سنة ١٩٠٣ وصل البريطانيون الى سوكوتو بقيادة الجنرال كمبال Kambal والكولونيل مورلاند واحتلوها بعد قتال ضعيف ، ولكن المعركة الكبرى وقعت بين شعب « كنو » عاصمة الاقليم الشمالى الآن بقيادة الوزير وبين البريطانيين بالقرب من جبال كاواتاركواتش Kwatarkwashi على بعد ١٤٠ ميلا من سوكوتو . ولقد طارد المستعمرون سلطان سوكوتو وقتلوه وتولى بعده السلطان محمد اتاهيرو ابن عم والد احمدو بللو وقام البريطانيون بتعيين مقيم بريطانى ووضع حامية لهم فى سوكوتو .

ولقد حدث أن تنبأ أحدهم للسلطان عثمان دان فوديو حين بدأ اقامة دولته سنة ١٨٠٣ ان امبراطورية شعب الفولانى سوف تستمر مائة عام ومن المدهش حقا ان النبوءة قد تحققت تماما فبعد مائة عام استولى البريطانيون على البلاد واحتلوا أراضى هذه الامبراطورية التى لم تستطع برغم جهادها العنيف ضد قبائل اليوربا أن تغمر القرآن الكريم فى مياه المحيط كما كان متوقعا وان نجحت فى تحويل الكثير من اليوروبا الى الاسلام .

المدرسة والكلية

حين ذهب الحاج احمدو بللو الى المدرسة فى سوكوتو كان السلطان هو محمد وميتورار Mohamado Miturare (١٩١٥ ـ ١٩٢٤) وهو من فرع اتيكو Atiku بالاسرة .

ولقد كان يوجد بالطبع مئات من أقاربه فى العاصمة وبالقرب منها وان لم يكن يعرفهم جميعا . ومن بين اصدقائه وزملائه فى المدرسة هيجارى جوامبا رئيس البروتوكول فى قصر رئيس جمهورية نيجيريا الآن وكذلك الحاج ابراهيم الجواندى الذى يبرز نشاطه فى الشئون المحلية.

ولقد كان من عادة الطلبة فى ذلك الحين أن يذهبوا كل يوم جمعة

الى قصر السلطان ويجتمعوا به بعد الصلاة حيث يوزع عليهم ثمار الكولا لتزيد من نشاطهم واقبالهم على العمل ٠

وكانت المدرسة تقع فى الناحية الجنوبية من المدينة ملاصقة تماما لسورها فى المكان الذى تشغله الآن محطة القوى الكهربية وكانت تسمى « مدرسة سوكوتو الاقليمية » وتخضع مباشرة للحكومة وليس للسلطة المحلية وكانت مبنية ـ شأنها فى ذلك شأن كل مبانى المدينة حتى قصر السلطان ومقر المقيم البريطانى ـ من اللبن ولم يكن لدى الطلبة أول الامر كتب يدرسون فيها ، ولكن بعد أن تعودوا استعمال الكتابة بالمداد وزعت عليهم الكتب وبدءوا يقرءون بلغة الهوسا ٠ بعد سنتين أصبحوا يجيدون القراءة والكتابة فبدءوا يتعلمون الانجليزية وأخذوا يدرسون بعض المواد مثل الرياضة والجغرافية والتاريخ وذلك بجانب القرآن الكريم ٠ ولم يكن مقرر التاريخ غير تاريخ بريطانيا بالتفصيل وجانب من التاريخ العالمى ٠ وخلال ذلك كانوا مستمرين فى دراسة اللغة العربية ٠

ولقد كان أحمدو بللو طالبا مجدا فى الحقيقة ولم تكن هذه صفته وحده فلقد كان اقبال الطلبة جميعا فى ذلك الوقت على دروسهم عظيما وبشغف لقلة وسائل اللهو وللرقابة الشديدة المفروضة عليهم ولم يكن لديهم ضوء قوى يستذكرون عليه ليلا بل كانوا يستعملون مسارج من اللبن تعمر بزيت الفول السودانى ويضيء منها فتيل صغير من القطن ٠

ولقد كانوا يعيشون كل اثنين فى كوخ ليس به غير حصيرة ينامان عليها وصندوق لكل منهما يحفظ به ملابسه وكانوا يعانون من البرد فى الشتاء وموسم الامطار وكانوا يتناولون طعامهم من مطبخ المدرسة فى اطباق خشبية يحملونها الى اكواخهم وكان الطعام بسيطا ولكنه كاف ومغذ . وكان مصروف احمدو بللو الخاص فى ذلك الوقت لا يتجاوز جنيها وأربعة شلنات فى الشهر ولكنه كان كافيا جدا ٠ واذا مرض أحد الطلبة فلا يحضر الطبيب الا اذا أشرف على الموت ذلك أنه كان يعـالج الجنود والمواطنين فلم يكن هناك وقت لأمثالهم اما اذا أحس أحدهم بألم فى أسنانه فليس هناك علاج لها الا الخلع على يد « الحلاق » ٠

وكانوا يكرهون الجنود السود من مواطنيهم ويرون فيهم أدوات للمستعمر لقهرهم والسيطرة عليهم وكانوا يحسدون الضباط البريطانيين على حياتهم التى يقضونها فى لعب البولو والصيد والقنص وكان الناظر والمدرسون جميعا من الوطنيين من قبائل الهوسا والفولانى. وكانوا يمتازون بالاخلاص والدأب فى عملهم ٠

ولم يكن هناك غير مفتش واحد للتعليم يرونه فى فترات متباعدة لانه كان مسئولا عن المدارس كلها فى الامارات الست الموجودة بالاقليم الشمالى . وكانت مهمته هى محـاولة اقنـاع الآباء بارسال أولادهم للمدارس • ذلك ان الاقبال على التعليم فى الاقليم الشمالى كان - ومازال - قليلا فالناس لا يثقون فى العلوم الحديثة التى تدرس .. كما أنهم يجدون مشقة فى الاستغناء عن أولادهم فى سن يستطيعون أن يساعدوهم فيه فى الزراعة وذلك بالرغم من أن التعليم كله بالمجان تقريبا وذلك بعكس الحال فى الجنوب (الاقليمين الشرقى والغربى) حيث الاقبال كبير على التعليم بالرغم من الرسوم المدرسية الباهظة . واذا كان لقلة الاقبال على التعليم فائدة تذكر فهى أنه أمكن الحاق كل المتعلمين بأعمال مناسبة وبذلك لا توجد طبقة مثقفين عاطلة فى الشمال وعلى كل فان هذه النظرة للتعليم فى الاقليم الشمالى قد بدأت تتغير •

وبعد خمس سنوات تخرج احمدو بللو من المدرسة وكان ترتيبه الاول على فصله •

وفى سنة ١٩٢٦ بدأت الخطوة التالية من مراحل تعليمه فالتحق بكليه كاستينا التى كانت أرقى معهـد فى الشـمال وقتئذ وكانت مخصصة لتدريب وتخريج المدرسـين • وكان معظم الأساتذة فيهـا من الأوربيين والدراسة فيها باللغة الانجليزية • ولما كانت على بعد حوالى ١٧٠ ميلا من سوكوتو فقد استغرقت سبعة أيام فى الذهاب اليها سيرا على الاقدام ومعهم الحمالون الذين يحملون حاجياتهم فوق رءوسـهم • وكانت رحلة شاقة قطعوا فيها صـحارى وغابات ومستنقعات وعانوا من الحرارة العالية نهارا والبرودة القارسة أثناء هبوب رياح الهارمتان الباردة ولم يستطيعوا استعمال الخيول لمرورهـم بمنـاطق موبوءة بذبابة التسى تسى •

وقد قطع احمدو بللو الرحلة نفسها مرتين بعد ذلك خلال عامين .. ولم يستطع هو ورفاقه استعمال وسائل النقل الميكانيكية الا فى سنة ١٩٢٨ بعد أن مهد الطريق نوعا ما اذ قطعوها على ظهر أحد اللوريات ولكن فى يومين وكانت الكلية (التى أنشئت سنة ١٩٢٢) مبنية أيضا باللبن ولكن الطلبة كانوا يعيشون معا فى عنابر وكان احمدو بللو رئيس عنبر يدعى الليلا Illela وكانت العنابر تتنافس مع بعضها البعض فى الالعاب الرياضية .. ولما كان متفوقا فى الكريكت وأحب هذه الرياضة حبا جما فقد فاز بجوائز عديدة •

ومعظم زملائه في الكلية (التي كانت مخصصة فقط للطلبة المسلمين من الاقليم الشمالى) أصبحوا يحتلون الآن مراكز مرموقة ومنهم الحاج أبو بكر تافاوا باليوا رئيس وزراء اتحاد نيجيريا والحاج محمد نجيلروما الممثل الدائم لنيجريا فى الامم المتحدة والحاج عيسى كيتا وزير التربية والتعليم وغيرهم ·

ولقد كانت كاستينا من مراكز الثقافة والعلم الاسلامية المرموقة فى الغرب الافريقى ·· وكانت تحتل المرتبة الثانية بعد تمبكتو مباشرة ·· وطوال مئات السنين ظلت مقصدا لطلاب العلم من جميع انحاء غرب أفريقيا للتفقه فى الدين ودراسة علوم العربية ·· ومازالت أحياء كثيرة تحمل أسماء قبائل الطلاب الذين حضروا لتلقى العلم وأقاموا فيها مثل سونغاى وملى واسبن · كما لايزال يوجد بالمدينة عدد كبير من المثقفين ·

وبالرغم من أن سكان المدينة من الهوسا ويتكلمون اللغة نفسها الا ان احمدو بللو وزملاءه من طلبة سوكوتو شعروا باختلافهم عنهم فى العادات والطباع وطريقة التفكير ·· ورغم ذلك فقد كانوا يعاملونهم أحسن معاملة ويقدمون لهم أجل الخدمات · وكان الامير محمد ديكو أمير المدينة وقتئذ يتمتع باحترام وتقدير الجميع ويمتاز بعلمه الغزير واطلاعه الواسع كما هو حال ابنه وخليفته اليوم · وكان كثيرا مايزور الكلية ويقضى فيها أوقاتا طويلة ويمنح الطلبة الكثير من الهدايا ·

وفى الكلية وجد احمدو بللو ـ لاول مرة فى حياته ـ مكتبة عامرة بالكتب المتنوعة فى مختلف العلوم والمعارف ، فأقبل بنهم على القراءة المتنوعة الخصبة ، وكان أول ماستحوذ على اهتمامه قصص المغامرات والاستكشافات ·

وكانت علاقة الطلبة بأساتذتهم علاقات صداقة وحب ، وخاصة فى غير أوقات الدرس وكانوا يقضون معا أوقاتا رائعة يتناولون فيها مختلف الشئون الخارجية ·

ويجب ملاحظة انهم كانوا منقطعين تماما فى ذلك الوقت عن العالم فلم يكونوا قد رأوا السكك الحديدية بعد · بالرغم من انها كانت قد وصلت الى « كانو » سنة ١٩١٣ ·· ولكن « كانو » بالنسبة لهم كانت بلدا بعيدا قصيا اما لاجوس فكانت تمثل فى نظرهم مكانا نائيا يوجد به ذلك الشىء الغريب الذى يدعى « حكومة » وكان نادرا ما يزورهم أحد من خارج المدينة · كما أنهم وان كانوا قد سمعوا عن الطائرة فلم يكونوا قد رأوها بعد ·

وبعد أن انتهت سنوات الدراسة الخمس بالكلية فى كاستينا ٠ ٠ عاد الطلبة الى المناطق التى جاءوا منها ليعملوا كمدرسين وعاد احمدو بللو الى سوكوتو حيث عين مدرسا للغة الانجليزية والهندسة بالمدرسة التى سبق أن تعلم بها بمرتب سنوى قدره ستون جنيها ثم كلف أيضا بتعليم اللغة العربية ٠ ولما كان التقرير الذى بعثته عنه كلية سوكوتو يقول انه رياضى واجتماعى فقد عهد اليه أيضا بالاشراف على النشاط الرياضى للطلبة مما جعل وقته كله مكرسا للمدرسة فلم يجد متسعا للقراءة أو الاختلاط بالمجتمعات والاندية ٠

ولذلك فانه مازال يحمل فى نفسه تقديرا خاصا للمدرس ٠ انه الرجل الذى يكرس حياته لخدمة الآخرين دون اعتبار لوقته أو صحته ٠ ويلاحظ أن معظم الرجال البارزين اليوم فى نيجيريا الشمالية قد بدءوا مدرسين لان معظمهم من خريجى الكلية فى كاستينا ٠ ومنهم من قضى بالتدريس مـــدة طويلة مثـــل الحاج أبو بكر تافاوا باليوا رئيس وزراء الاتحاد ٠

وكانت مدرســـة سوكوتو قد أضيف اليهـــا ملحق لتعليم المهن والصناعات ، مثل التجارة والحدادة وغيرهما ، ولمـا كانت هـــذه المهن موضع احتقار العائلات الكبيرة بالمدينة فقد كانوا يبذلون جهدا كبيرا لتغيير هذه النظرة ثم ألغى هذا القسم من المدرسة بعد ذلك وكان ذلك خطـأ كبيرا ٠ ولم يكن تعليم البنات قد بدأ فى الشمال فى هذا الوقت ٠ ولقد حاولوا جاهدين أن يغيروا من نظرة الجميع ومن التقاليد التى تحرم على المرأة الخروج فضلا على تلقى العلم ٠

ولقد كانت السنوات الثلاث التى عمل فيها احمدو بللو مدرسا هى سنوات الازمة الاقتصادية التى اجتاحت العالم كله فى أوائل الثلاثينات وكانت نيجيريا من بين البلاد التى عانت كثيرا من هذه الازمة ٠ فقد انخفض الدخل الحكومى من ستة ملايين الى أربعة ملايين من الجنيهات وترتب على ذلك أن استغنت الحكومة عن خدمات عدد كبير من الموظفين كما خفضت مرتبات الباقين بمقدار العشر ٠ ولكن أهل الشمال لم يعانوا كثيرا خلال هذه الازمة بالرغم من انخفاض أسعار الفول السودانى كثيرا (من ستة جنيهات الى جنيهين للطن) ٠

وهذه الازمة هى الازمة الثانية التى تعانى منها نيجيريا بعد الحرب

العالمية الاولى ٠٠ وكانت الحرب الثانية هى الازمة الثالثة فى بحر الثلاثين عاما وقد أعلن احمدو بللو بعد ذلك أنه لا يوافق الآن على كثير من الاجراءات التى اتخذتها الحكومة الاستعمارية لمجابهة هذه الازمة الاقتصادية ٠

وقد حدث تغيير كبير فى حياة أحمـــدو بللو سنة ١٩٣٤ حين قام السلطان بتعيينه رئيسا للمركز فى رباح فى المكان الذى خلا بوفاة ابن عمه ٠ وهكذا فى سن الرابعة والعشرين كان واحدا من أصغر رؤســـاء المراكز الثمانية والأربعين الذين يتبعون امارة سوكوتو ٠

ورئيس المركزمطلق التصرف فى منطقته ويسأل عنها مسئولية كاملة ومنصبه من المناصب الهامة ٠ وبعض المراكز مثل رباح كانت الرياســة فيها وراثية بين أبناء أسرة واحدة والبعض الآخر لم يكن خاضعا لهــذا القيد ٠ ولقد كان أحمدو بللو هو أصلح أفراد أسرته وأحقهم بهذا المنصب كما ان السلطان كان يزكيه بسبب ذلك القسط من التعليم الحديث الذى تلقاه وكان يرى أن احتلاله هذا المنصب سيكسبه خبرة ادارية تؤهله بعد ذلك لتولى مناصب أكثر خطورة ٠

وكانت مساحة مركز رباح حينئذ تبلغ حوالى ثلاثمائة ميل مربع وعدد سكانه حوالى ثلاثين ألفا يعيشون فى قرى يتراوح عدد سكان كل منها بين ٥٠٠ وألف نسمة والجميع يشتغلون بزراعة الفول السودانى وقليل من الطباق والحبوب ٠ كمــا يربون الماشية والاغنــام والطيور ٠ والمركز يقع بين نهرى سوكوتو وريما ٠ ولذلك كانت مشكلة المياه لا يعانى منها هؤلاء الذين يعيشون بجوار الانهار أما الذين يعيشون على المرتفعات بعيدا عن النهر فكانوا يعانون كثيرا من هذه المشكلة فى فصل الجفاف الذى يستمر سبعة أشهر من نوفمبر الى مايو وما زالت المياه بالنسبة لسكان المرتفعات تمثل اشكالا أمام الحكومة فى هذه المناطق ٠ ولقد حفرت كثير من الآبار ولكن مازالت الصعوبة تتمثل فى كيفية استخراج المياه من الآبار العميقة دون استخدام آلات وفى كيفية استخراج كميات تكفى الحاجات المتزايدة ٠

وهم يعانون أيضا من انتشار الامراض وقلة العناية الطبية ٠٠ وان كان هذا لم يكن يشكل فى نظرهم مشكلة كبيرة نظرا لجهلهم بالطب الحديث ووسائل العلاج العلمية ولذلك فقد كانوا يعالجون أمراضهم بوســائلهم البدائية البسيطة ومن عجب أنهم كانوا يحققون نتائج مدهشة ٠ ولكنهم كانوا يقفون عاجزين أمام الأوبئة التى كانت تجتاح مناطقهم وتقتل منهم الكثير ٠

وعلى الرغم من أن ماسبق كانت مسئوليات هامة تقع على عاتق احمدو بللو كرئيس للمركز ٠٠ الا أن مسئوليته الهـامة كانت جمع الضرائب الكاملة وتوريدها فى مواعيدها تماما وكذلك كانت هناك مسئولية اقرار الأمن والعمل على استتبابه ٠ ورؤساء المراكز فى هذه المهمة الأخيرة كانوا يعتمدون على أصدقائهم وأقربائهم واتباعهم فلم يكن هناك رجال مخصصون لذلك تدفع لهم أجور منتظمة ولم تكن هناك ــ وما زال الحال كذلك حتى الآن ــ سلطات قضائية ولكن رؤساء المراكز عليهم أن يستعملوا تأثيرهم للقضاء أولا بأول على الحوادث الفردية البسيطة منعا لاستفحالها وتحولها الى حركات عامة مخلة بالنظام والامن ٠

وكان كل من يرتكب اثما يؤتى به الى رئيس المركز الذى يعهد به الى قاضى المركز District Alkali وبعد أن يصدر هذا حكمه يرسل المحكوم عليه تحت الحراسة الى سوكوتو لقضاء مدة العقوبة ٠ وفى سوكوتو كان هذا يستطيع استئناف الحكم أمام السـلطان اذا أراد ٠ أما فى حالات الاضطراب الخطيرة فكان رئيس المركز يذهب برجاله للقضاء عليها ٠ وعلى كل حال فقد دهش احمدو بللو لقلة الجرائم والحوادث فى مركزه ولعل ذلك يرجع الى المجتمع الزراعى المتماسك الذى كان يعمل على معالجة مشـاكله الخاصة أولا بأول داخل نطاقه وبالاتصالات الشخصية ٠ كما يرجع أيضا الى أن المجتمع فى شمال نيجيريا هو مجتمع اسلامى متمسك بتعاليم الدين فلا يتعاطى أفراده ــ كما هو الحال فى الجنوب ــ الخمر أو غيرها من الأشياء التى تفقد المرء توازنه وتجعل من السهل عليه أن يرتكب الحماقات ويخل بالأمن ٠

أما جمع الضرائب فكان يفرض على كل مركز مبلغ معين حسب عدد السكان به ، وبخاصة الرجال ، لانه من الصعب فى مجتمع محافظ كالمجتمع فى شمال نيجيريا احصاء عدد النساء والاطفال ٠ والضريبة المفروضة على المركز كانت توزع على القرى الواقعة فى نطاقه ثم تبلغ الى رئيس المركز الذى يقوم بدوره بابلاغهـا الى عمد القرى ٠ وفى كل قرية يجتمع ذوو الشأن وكبار السن فيها لتقسيم مبلغ الضريبة بالعدل والقسطاس على عدد السكان بحيث يدفع الغنى أكثر من متوسط الحال ويدفع الفقير مبلغا أقل أما المعدمون فلا يدفعون شيئا ٠

وكانت مهارة رئيس المركز تبدو فى مدى استطاعتـه جمع مبلغ الضريبة وتوريدها للسلطات فى أسرع وقت ممكن ٠ وكان موظفو المركز الذين يطوفون بالقرى يحثون الناس على الاقتصـاد والتوفير لجمع مبلغ الضريبة حتى لايفاجئون بها حين يأتى موعد دفعهـا ٠ وفى وقت جمع

الضرائب كان الناس يهرعون بمحصولاتهم الى الاسواق لبيعها ليحصل كل منهم على المبلغ المطلوب منه • ولذلك كان العرض يزيد على الطلب مما يؤدى الى انخفاض الاسعار فتتاح للتجار فرصة ذهبية للشراء بأسعار تنخفض كثيرا عن الاسعار العادية •

وكان المبلغ المفروض على مركز «رباح» الذى عين احمدو بللو رئيسا له يبلغ ثلاثة آلاف جنيه وفى أول عام لرياسته عاني بعض المصاعب فى جمع المبلغ وذلك لقلة خبرته ولذلك كان آخر رؤساء المراكز الثمانى والاربعين فى امارة سوكوتو فى ترتيب دفع المستحق ولكنه أحرز تقدما كبيرا بعد ذلك حتى جاء ترتيبه الاول فى السنة الرابعة •

وحين ذهب الى «رباح» كان قد انقضى على مغادرته لها أربعة عشر عاما وبرغم ذلك فلم يلحظ أى تغيير هناك • وبالرغم من صغر سنه حينئذ •• اذ كان فى الرابعة والعشرين •• فقد استطاع – بفضل حماسته كشاب للعمل وثقافته ، وتأييد أقاربه • وأصدقائه الكثيرين – أن ينجح فى عمله

ومركز «رباح» ليس مركزا غنيا فقد كانت الاراضى المزروعة به قليلة وكان الكثير من سكانه يهاجرون الى الجنوب للعمل هناك ولذلك رأى أن يستحث همم السكان للتكاتف والتعاون على اصلاح مزيد من الاراضى وكان يجمع الناس ويخطب فيهم ليستثير نشاطهم •• وبدأ أولا فى «رباح» نفسها فكون جايا Gayya اى شبه اجتماع تعاونى للعمل واستطاعوا خلال فصل الجفاف – حيث يبقى الرجال بلا عمل شهورا عديدة – اصلاح منطقة واسعة من الأراضى على سفح أحد التلال وزرعوه بالكسافا Cassava وكانت زراعتها قليلة الانتشار فى ذلك الحين • وحين نضج المحصول دعوا الجميع ليأخذ كل حاجته منه وبذلك عرف الجميع فوائد العمل المشترك لخير الجميع كما أقبلوا بعد ذلك على زراعة الكاسافا بعد أن رأوا مقدار ماتغله من محصول وافر •

وبعد ذلك وجه الرجال – خلال فصل الجفاف التالى – للعمل فى ردم المستنقعات والبرك التى كانت تحيط «برباح» وتغطى مساحات شاسعة منها ثم زرعها أرزا وبطاطا • كما جربوا بعد ذلك زراعة القمح فنجح نجاحا باهرا • وكان لهذه الاعمال دويها الكبير مما حدا بكثير من المهاجرين الى العودة مرة أخرى بعد أن أتيحت لهم فرص العمل فى مواطنهم الاصلية •

وراع احمدو بللو بعد ذلك الجهل المطبق المسيطر على الاهالى فى «رباح» •• فرأى أن يشغل أوقات فراغهم الطويلة فى عمل مثمر مفيد

فاشترك فى اقامة مبنى واسع اتخذوا منه مدرسة لتعليم الكبار القراءة والكتابة مبتدئا بأقاربه أولا ٠ وكان هو الذى يتولى التدريس بنفسه لعدم وجود من يتولى ذلك غيره ٠ وبعد أن أتمت الدفعة الاولى تعليمها جعل أفرادها يتولون تعليم غيرهم وهكذا ٠٠ وبذلك بدأت الحرب ضد الجهل ٠ التى تحولت أخيرا الى مشروع هائل لتعليم الكبار ، ثم عم نيجيريا كلها ٠ وقد نجح بعد ذلك فى الحصول على موافقة المسئولين حينئذ على انشاء مدرسة أولية فى «رباح» ٠

ومن بين أعماله هناك أنه أنشأ مكتبا خاصا به يدير منه مهامه كرئيس للمركز ٠ وكان هو المكتب الأول الذى يقام فى الشمال كله ٠٠ ولذلك سرعان ما انتشرت الفكرة بين رؤساء المراكز فأقبلوا جميعا على انشاء مكاتب لهم يصرفون منها مهام منصبهم ٠

كما أخذ فى اصلاح الطرق وشق الجديد منها ومن بين هذه الطرق الجديدة طريق يوصل الى مدينة كبيرة تدعى «رارا Rara » على الشاطىء الجنوبى لنهر سوكوتو ٠ ولما كانت هذه المدينة قد تهدم الكثير من مبانيها وعانت الكثير لأن النهر كان يأكل مساحات كبيرة من أراضيها كل عام ٠٠ فقد حث أهلها على حفر مجرى جديد عميق للنهر حولوا المياه اليه وبذلك أنقذت المدينة من الانقراض كما كسب أهلها مساحة كبيرة جديدة من الارض أخذوا يزرعونها ويستغلونها ٠

وفى منطقة تدعى توفا Tofa كانت توجد مساحة من الأرض خصبة تقع تحت سفح احد التلال ٠ وعندما تسقط الامطار كانت المياه تندفع بقوة منحدرة من هذه التلال فتكتسح التربة والمزروعات المستنبتة بها مما جعل الفلاحين يفكرون فى الانتقال الى مكان آخر غير قريتهم تلك ٠ ولكن بعد أن عاين المكان تعاونوا جميعا فى حفر مجرى عميق تتحول اليه مياه الامطار بعيدا عن الاراضى المزروعة ٠٠ وبذلك انقذوا الارض واستقر الفلاحون فى قريتهم ٠

لقد استطاع احمدو بللو فى هذه الفترة عن طريق العمل الشاق والاخلاص أن يكسب ثقة وحب الفلاحين ٠ وما زالت علاقاته بهم وثيقة حتى اليوم فهم يزورونه باستمرار ويسرون له بآلامهم وآمالهم ٠ وفى الوقت نفسه استطاع أيضا أن يحظى برضاء وتأييد الجهات الحكومية المسئولة فى ذلك الحين ٠

في سنة ١٩٣٨ طرأ تغيير كبير على حياة احمدو بللو وترك «رباح» الى «جوسو» ففي هذه السنة مات السلطان حسن وخلفه السلطان أبو بكر ابن أخيه الذي مازال سلطانا حتى الآن . وهو أيضا من عائلته اذ ينحدرون جميعا من صلب جدهم الأكبر السلطان بللو .

ولقد كان السلطان أبو بكر يشغل منصب «ساردونا» لامارة سوكوتو أثناء حكم السلطان حسن . ومنصب ساردونا من المناصب الشرقية الكبيرة وتعني «قائد الحرس» أو «حامل السيف الشجاع» أو « الشجاع الذي يتقدم الطريق » وكانت وظيفته أن يرأس حرس السلطان ويتقدم طريقه .

وكانت من بواكير أعمال السلطان الجديد نقل احمدو بللو الى وظيفة جديدة في «جوسو» . وكان هذا النقل من أكثر الاعمال المحفزة والمشجعة له . ولكن برغم ذلك فقد شعر بالحزن الشديد لتركه «رباح» بعد أنأصبح مرتبطا بها وبالناس هناك ارتباطا روحيا وثيقا . وقد خرجوا جميعا لوداعه في حرارة صادقة وتأثير عميق وهم يهتفون « نتمنى لك حظا سعيدا أيها الرجل صاحب ساعة اليد » و « كان الله في عونك » وكانوا يلقبونه بالرجل صاحب ساعة اليد لان ساعات اليد لم تكن معروفة في «رباح» قبل أن يذهب هو وفي معصمه واحدة منها .
و «جوسو» تقع على بعد حوالي ١٣٥ ميلا من سوكوتو وكانت مدينة صغيرة عدد سكانها حوالي عشرة آلاف قبل أن تصل اليها السكة الحديدية ولكنها بعد ذلك نمت وتضخمت وبلغ سكانها السبعين ألفا . وهي مركز تجاري هام يوجد بها قليل من التجار الاجانب من انجليز وفرنسيين ولبنانيين وبالقرب منها جبال كواتار كواش Kwatar Kwash التي ترتفع عن السهل المحيط بها أكثر من ألف قدم والتي دارت بجانبها سنة ١٩٠٣ المعركة التاريخية بين القواتالوطنية بقيادة وزير «كانو» وبين البريطانيين هزم فيها أولئك الغزاة هزيمة منكرة .

وكان عمله الجديد هو الاشراف على أعمال أربعة عشر مركزا تمتد أراضيها على طول الحدود الشرقية وكانت توجد في « جوسو » فروع من الادارات الوطنية الموجودة فيسوكوتو تخضع لادارته مثل الخزانة الفرعية كما كان يوجد ضابط مركز (بريطاني) مقيم تابع لضابط أعلى في سوكوتو كما كان يوجد عشرات من الاوربيين .

وقد اقترن تعيينه هناك باختياره عضوا بمجلس السلطنة فى سوكوتو . واحمدو بللو فخور بأنه مازال حتى الآن يحتفظ بعضويته هذه ويتحين فرص وجوده بسوكوتو ليحضر اجتماعات المجلس التى تعقد أيام الثلاثاء من كل اسبوع .

وبعد تعيينه فى منصبه هذا بسنة واحدة أعلنت الحرب العالمية الثانية وعين ضابطا للحرب فى سوكوتو .. وكان عليه أن يجمع المحاصيل والرجال للعمل فى صفوف الحلفاء كما كان عليه أن يراقب جنود المستعمرات الفرنسية المجاورة وذلك بعد أن اعلنت القوات الفرنسية بها انضمامها الى حكومة فيشى .

وقد وقعت بعد ذلك حادثة انهت الى الأبد عمله فى الوظائف الادارية فقد حيكت ضده مؤامرة دنيئة اتهم فيها بأنه قد استولى على بعض الأبقار من بعض الرعاة المقيمين لشعب الفولانى بحجة أنها جزء من الضرائب المفروضة عليهم دون أن يوصلها للخزانة العامة . وانعقد مجلس السلطنة لمحاكمته وأصدر حكمه بالسجن عاما .. ولكنه استأنفه امام المحكمة العليا التى أصدرت حكمها ببراءته . وخارج المحكمة كان الآلاف يقفون فى انتظاره وهم يهتفون فرحين مهللين كما كانت عودته الى «جوسو» تشبه عودة الفاتحين المنتصرين .

وبعد ذلك عاد الى سوكوتو وتفرغ لعمله كعضو فى مجلس السلطنة ووجه همه لتنظيم البوليس ورفع مستوى السجون وغير ذلك من الادارات التى وضعت تحت اشرافه .

وحتى ذلك الوقت لم تكن رحلاته قد تجاوزت الاقليم الشمالى . ولذلك كان سعيدا جدا حين تمكن سنة ١٩٤٩ من السفر الى لاجوس ورؤية الادارات الحكومية الكبيرة والمحيط الهائل الممتد على مدى البصر الى ما لانهاية .

ح - فجر الحركات السياسية

فى خلال سنة ١٩٤٦ دارت فى جميـــع انحــاء نيجيريا مناقشات حول دستور جديد يحل محل الدستورالقديم الصادر سنة ١٩٢٢ الذى كان لايسمح بتمثيل الاقليم الشمالى برغمأنه يمثل الجزء الأكبر من البلاد من حيث المساحة والسكان فى المجلس التشريعى ٠ أما المناطق الجنوبية فكان لهــا ممثلون ولكنهم عبارة عن صور لا يعتد برأيهم أو بكلامهم ٠ وكان الحاكم العام البريطانى وحده بدون استشارة أو توصيات ٠٠ هو الذى يصدر التشريعات الخاصة بالاقليم الشمالى ٠ وكان يمثل الاقليم الشمالى فى المجلس التشريعى رؤساء الضباط العشرة الذين كانوا يمارسون وظائف المقيمين الساميين فى انحائه وكان معظمهم بريطانيين الا أقلية وطنية من الجنوب ٠ وطبعا بحكم وظائفهم لم يكن يجرأ احدهم على المناقشة والكلام الا فيما ندر ٠ وكذلك كانوا أعضاء بالمجلس المندوبون الساميون الذين كانوا ينوبون عن الحاكم العام البريطانى فى ادارة أقاليم نيجيريا ٠٠ وكذلك المدعى العام والسكرتير العــــام ومدير الخزانة العامة ٠

وقد صدر الدستور الجديد فى نهاية سنة ١٩٤٦ فىعهد الحاكم البريطانى السير آرثر ريتشارد (الذى أصبح الآن لورد ميلفرتون) ولذلك سمى « دستور ريتشارد » وبالرغم من أن الدستور ظل معيبا فى نواح كثيرة الا انه كان عــلى كل حال خطوة الى الامام ٠ فلأول مرة مثلت الاقاليم كلها فى هيئـــة تشريعية ٠ ولأول مرة كان هناك أعضاء ٠٠ ينتخبهم الوطنيون أهالى البلاد ٠ ولأول مرة أصبحت هناك اغلبية من غير الموظفين الرسميين سواء فى مجالس الأقاليم أو فى المجلس التشريعى ٠ وهكذا لأولمرة تخلص المجلس التشريعىمن الأغلبيةالرسمية المسيطرة وأصبح به أعضاء أفريقيون منتخبون يعبرون عن آراء مواطنيهم بشىء من الحرية ٠

وكان المجلس الأقليمى الجديد فى الشمال والذى تكون من المجلس الشعبى ومجلس الرؤساء ، فى سلطته أن يناقش الميزانيات التى يمكن أن تؤثر على الاقليم ، كما كان يمكنه أن يوصى بتنفيذ بعض الاصلاحات وذلك بالرغم من أن احدا فى لاجوس العاصمة لم يكن يهتم بتوصياته • كما كان أعضاؤه يستطيعون مناقشة المسائل بصفة علنية والتصويت على اتفاق مبالغ صغيرة على شئون الاقليم وكانت أهم اختصاصات أعضائههى اختيار خمسة من أعضاء مجلس الشعب وأربعة من مجلس الرؤســـــاء ليمثلوا الاقليم فى المجلس الاستشارى بلاجوس •

أما المجلس التشريعى الجديد بالعاصمة فقد كان به أربعــة عشر عضوا اقليميا وستة من الرؤساء (منهم اثنان من الغرب) وأربعة أعضاء منتخبين (عن مدينتى لاجوس وكالابار) وأربعة أعضاء معينيين • أى أنه كان يوجد ثمانية وعشرون عضوا غير رسمى • وكان يوجد ستة عشر عضوا رسميا من بينهم الحاكم العام والمندوبون الساميون وبذلك كانت هناك أغلبية واضحة من غيرالرسميين كانوا يستطيعون اذا اتحدوا أن يعارضوا الحكومة ويقفوا فى وجهها ولكن ذلك لم يحدث •

وكان المجلس الشعبى فى كادونا ينتخب بوساطة مجالس السلطة الوطنية فى كل منطقة بحيث يمثل المنطقة عضو واحد ماعدا «كانو» فيمثلها ثلاثة وسوكوتو يمثلها اثنان •

وعند اجراء الانتخابات الأولى كان احمدو بللو عازفا عن السياسة فلم يتقدم لها •• ولكنه كان كلما امعن فى التفكير صح عزمه على دخول الانتخابات التالية • ولما كان فى الوقت متسع حتى يحين ميعادها فقــد رأى أن يعمل على استكمال النقص فى ثقافته وتحسين لغته الانجليزية خاصة أن معلوماته كانت قليلة عن وطنه نيجيريا نفسه فضلا على بقية اجزاء العالم الخارجى •

وفى هذه الأثناء عرض عليه المجلس البريطانى دعوة لزيارة بريطانيا ودراسة نظم الحكم المحلى فقبل فى الحال وخرج بعيدا عن بلاده لأول مرة حين وصل الى لندن بالطائرة فى يناير سنة ١٩٤٨ •• ومن هناك ذهب الى ريتشموند فى مقاطعة يوركشير حيث أقام هنا فى ضيافة عائلة موظف بريطانى هو مستر فلتشر وأخذ يحضر حلقات دراسية فى نظم الحـكم المحلى والزراعة • والحق أنه سعد كل السعادة باقامته مع هذه العـــائلة البسيطة المضيافة وتركت هذه الفترة فى نفسه أثرا لن يمحى •

وعقب عودته من بريطانيا سنحت له فرصة الترشيح لعضـــوية

المجلس الشعبى حين مات وزير سوكوتو فتقدم ونجح وأصبح العضو الثانى الذى يمثل سوكوتو ٠

وفى هذا الوقت لم تكن توجد بعد احزاب فى الاقليم الشمالى وكان أعضاء المجلس يدلون بأصواتهم حسبما يتراءى لكل منهم دون التقيد بسياسة معينة ٠ وفى الحقيقة فقد كان معظم الاعضاء غير الرسميين مشغولين فى شئونهم الخاصة ولم يكونوا يعيرون المجلس وشئون الاقليم الا القليل من اهتمامهم ووقتهم ٠ ولذلك فقد كان موضوع خطاب أحمدو بللو الأول بالمجلس هو حث الأعضاء على بذل المزيد من الاهتمام بالمجلس وكان الأعضاء الرسميون أيضا أقل اهتماما بشئون المجلس ٠ وكان رئيس المجلس هو المقيم العام للاقليم الشمالى ولكن نادرا ماكان يحضر ٠ وكان بين الأعضاء فى ذلك الحين الحاج أبو بكر تافاوا باليوا رئيس وزراء الاتحاد الآن وماكامان بيضا وزير المالية الحالى٠ وكانت المناقشات تدور بالانجليزية وبلغة الهوسا كما هو الحال الآن ٠

وفى سنة ١٩٤٩ ذهب أحمدو بللو الى لاجوس لأول مرة وقابل السياسيين البارزين وعلى رأسهم دكتور ازيكوى ٠ وجعلته هذه الزيارة يرى انه يجب عليهم فى الشمال أن يزاولوا السياسة بشىء من الجدية والاهتمام والا فاتهم قطار التقدم الحكومى بنيجيريا فى المستقبل ٠

وفى سنة ١٩٤٩ رأى الحاكم البريطانى العام الجديد السير جون ماكفرسون انه قد حان الوقت لتعديل الدستور من جديد ولكن الجنوبيين كانوا يعارضون ذلك العمل ٠ ونيجيريا بلد فسيح الارجاء وشعبها متنوع الأصول واللهجات ٠٠ ولا يستطيع أحد أن يدعى أنه يتحدث باسم الأمة كلها ٠

وعلى كل حال فقد استقر الأمر على تعديل الدستور وأصدر السير جون بيانا بالتعديلات المقترحة طرح للمناقشة العامة فى جميع أنحاء البلاد على مستوى القرى ثم على مستويات أعلى حتى اتضحت أخيرا مشاعر الاقاليم فبدأت اجتماعات المجالس الاقليمية ٠

وفى كادونا تقابل جميع أعضاء المجلس الشعبى ومجلس القبائل واتفقوا على السياسة عامة واختاروا عددا من المندوبين عنهم للذهاب الى لاجوس لحضور اجتماع مندوبى باقى الأقاليم وذلك لاعداد مسودة للدستور تطرح للمناقشة فى ايبادان ٠ وكان احمدو بللو واحدا ممن وقع عليهم الاختيار ٠

وفى ايبادان دار النقاش طويلا حول انشاء الوزارات . وكان رأى الشماليين هو أن الشمال لم يتهيأ بعد من ناحية الخبرة لانشاء وزارات به ولكنهم لم يعارضوا فى انشائها فى باقى الاقاليم . وأخـــيرا استقر الرأى على أن تنشأ الوزارات بالاقليم الشمالى خلال سنة ١٩٥٢ .

والنقطة الثانية كانت العدد الذى يمثل كل اقليم فى مجلس النواب وكان العدد الذى يمثل الاقاليم الثلاثة فى المجلس التشريعى السابق متساويا .. ولكن الشماليين رأوا أن الامر يجب أن يختلف فى المجلس الجديد ذلك أن الاقليم الشمالى يفوق الاقليمين الجنوبيين من حيث المساحة وعدد السكان . ولما لم يكن قد أجرى تعداد منذ سنة ١٩٣١ فقد كان الظن أن عدد سكان الشمال يساوى عدد سكان الاقليمين الجنوبيين مجتمعين ولذلك عارض الشماليون رغبة ممثلى الجنوب فى استمرار الوضع كما كان .. وطالبوا بأن يكون عدد النواب بنسبة عدد السكان . وقد احتدم النقاش حول هذه النقطة واشتد الخلاف حتى طالب الشماليون بعقـــد مؤتمر فى لندن لطرح هذا الموضوع وجمعوا لذلك بضعة آلاف من الجنيهات لنفقات سفر الوفد الذى يمثلهم .. ولكن أمكن أخيرا حل الخلاف وقبلت وجهة نظرهم . أما النقود فقد حولت الى رصيد ينفق منه على تعليم بعض الشماليين فى جامعات انجلترا . وقد تعلم فعلا اثنا عشر شابا لم يفشل منهم غير واحد فقط .

وكان الدستور الجديد أكثر ديمقراطية مما سبقه . فقد نص على انشاء مجالس تنفيذية فى الاقاليم ومجلس وزراء فى لاجوس . والموضوعات التى كانت كلها من اختصاص الحكومة قسمت فبعضـــها التى اتسمت بالطابع المحلى منح الاختصاص فيها كلية للاقاليم مع تحفظ يقضى بأن يصبح باطلا أى قانون اقليمى يتعارض مع قانون مركزى وبذلك ظل ميزان الأمور فى يد الحكومة المركزية بلاجوس .

كما زاد عدد أعضاء المجالس الشعبية الاقليمية فارتفع عددهم بالاقليم الشمالى من ١٥ الى ٩٠ عضوا منتخبا . وأصبح عدد الاعضاء المنتخبين بمجلس النواب بالعاصمة ١٣٦ عضوا نصفهم يمثل الاقليم الشمالى .

وقد طرأ تغيير جوهرى على طريقة الانتخابات فالانتخاب فى ظل الدستور السابق لم يكن انتخابا بالمعنى المفهوم وانما كان فى حقيقته اختيارا لبعض الرجال الصالحين . أما فى الدســـتور الجديد فقد اقترح الشماليون أن يتم الانتخاب على درجات بمعنى أن يجتمع الذكور (فى الاقليم الشمالى) فى كل قرية فى تاريخ ومكان محدد ويقومون بانتخاب عشر

عددهم تقريبا كممثلين لهم · ويجتمع هؤلاء فى تاريخ ومكان معينين أيضا وينتخبون أيضا عشرهم تقريبا وهكذا · وأخيرا يتم اختيار المجموعة الكلية الاقليمية التى تقوم بدورها باختيار أعضاء المجلس الشعبى للاقليم · وفى الاقليم الشمالى كان عدد درجات الانتخاب خمس درجات فى حين كانت فى بعض المناطق الجنوبية درجة واحـدة فقط · كما كان حق الانتخاب فى الاقليمين الجنوبيين مصرحا به للمرأة أيضا ·· ولما كان يخشى أن يؤدى الأمر الى انتخاب بعض النواب غير المتعلمين نظرا للجهل المسيطر على جماهير الناخبين أنفسهم فقد اقترح مندوبو الشمال أن تطعم المجموعة الـكلية الاقليمية بما يوازى عشر اعضائها من موظفى السلطات الوطنية أو غيرهم من الموظفين وقد عرف هذا النظام باسم نظام الحقن بالادارة الوطنية ·

وبالرغم من ان هذه الاقتراحات قد قوبلت بموافقة شبه اجماعية فى اجتماعات ايبادان الا أنها أصبحت بعد ذلك موضع معارضة الاقليمين الشرقى والغربى ·

أما بالنسبة لأعضاء مجلس النواب فقد أبقى على النظام السابق وهو أن يقوم المجلس الشعبى فى كل أقليم باختيار هؤلاء النواب من بين أعضائه وأعضاء مجلس الرؤساء ·

وقبل أن نترك ذكر مجلس النواب يجب أن نذكر حدوث واقعة هامة خلال اجتماعاته · ففى أغسطس سنة ١٩٥٠ طالب أبو بكر تافاوا باليوا بانشاء لجنة تقوم ببحث نظام الادارة المحلية فى الاقليم الشمالى وتقـدم توصياتها للنهوض بهـــا واصـــلاحها على أن تعرض توصياتها وتقاريرها للمناقشة على نطاق واسع ·

وتتضح أهمية هذا الاقتراح اذا علمنا أن المواطنين فى الاقليم كان يحكمهم ضمير الرؤساء فقط ولا يبذل هؤلاء جهدا كبيرا لكسب ثقتهم لانهم لم يكونوا يعرفون حقوقهم أو التزاماتهم أو سلطاتهم · وكان من الصعب على أيهم أن يكتب تقريرا فعالا عن مركزه · كما أن النظم المالية والقضائية كانت تحتاج الى اصلاح شامل ·

وقد عارض هذا الاقتراح الجرىء كل الموظفين الرسميين فى حين وافق عليه معظم ممثلى الاقليم الشمالى ·· وهكذا مر الاقتراح ووفق عليه ·· وشكلت الحكومة لجنة من اثنين من كبار الموظفين الاداريين البريطانيين للقيام بالبحث والاستقصاء فقاما بزيارة كل مناطق الاقليم الشمالى · وقد نشر تقريرهما فى نهاية سنة ١٩٥٠ ثم تألفت لجنة لمناقشة التقرير من عشرين عضوا كان الحاج أحمدو بللو واحدا منهم ·

وقد نوقشت وظائف مجالس القرى والمراكز وطرق انتخاب المواطنين لاعضائها ورئى أن هذه المجالس يجب أن تتلقى اعانة أو منحا سنوية من فرع الخزانة العامة فى أقاليمهم للانفاق على مصاريفها المتوقعة .. كما أن المجالس الاستشارية للرؤساء التى فى المدن الكبيرة مثل تلك المنشئة فى سوكوتو وبورنو والتى تعرف باسم « المجالس الخارجية » يجب التفريق بينها وبين مجـالس الرؤساء التقليـدية كما رئى أن ينتخب جزء من أعضائها وأن يعين البعض الآخر من بين المـوظفين السابقين .. وأن اختصاصاتها يجب أن تكون النظر فى المسائل التى ترسل اليها من السلطة المحلية وبخاصة فى التشريعات المقترحة كما انها يجب أن تقوم بمراجعة تقديرات المصروفات عن السنوات القادمة وتبحث مشروعات التنمية .

كما رئى زيادة اختصاص الادارات المـالية المحليـة فى الاقاليم . وكذلك لفت التقرير الانظار الى ضرورة العناية بتدريب موظفى الادارة المحلية واستخدام أحدث أساليب الخدمات ومكافحة الرشوة .

كما نظم التقرير مسألة شائكة وهامة هى العلاقة المزدوجة للسلطات الاهلية بكل من مجالسها الخاصة أولا أى بالمجالس التقليدية ثم بالادارة المحلية ثانيا .

ولقد تعطل عرض التقرير على مجلس النواب حتى يوليو سنة ١٩٥٢ واحتاج الأمر الى كثير من الجهد للعمل على اقراره . ولكن نظرا لأن كثيرا من التغييرات التى كانت قد طرأت على البلاد فى ذلك الوقت فقد صدر قانون جديد للسلطة المحلية فى صيف سنة ١٩٥٤ تضمن كثيرا من المبادىء الحـديثة .

نوقش مشروع الدستور فى المجالس المحلية سنة ١٩٥٠ وتمت الموافقة عليه دون تغيير كما وافق عليه المجلس التشريعى فى العاصمة ابادان · وبعد ذلك رسل الى لندن حيث نوقش فى وزارة المستعمرات وأخيرا وقعه الملك ونشر فى يوليو سنة ١٩٥١ ·

وعقب ذلك تم اجراء الانتخابات ولكن المجلس الشعبى للاقليم الشمالى لم يجتمع ليقسم أعضاؤه اليمين القانونية الا فى يناير سنة ١٩٥٢ وقد كان الحاج أحمدو بللو على رأس الناجحين فى دخول المجلس الجديد ·

ولقد اعتزم حينئذ أحمدو بللو أن يجعل من السياسة حرفة له خلال السنوات القادمة ولذلك سر جدا حين وقع الاختيار عليه ليكون فى الوزارة المحلية للاقليم الشمالى وزيرا للاشغال · وكان على وشك أن يقع الاختيار عليه ليكون وزيرا فى الحكومة المركزية فى لاجوس لولا أن المواطنين أصروا على بقائه بينهم · وكان من الوزراء زملاؤه فى الوزارة الاولى الحاج أبو بكر تافاوا باليوا رئيس الوزراء الاتحادى الآن والسيد / شيتيما كاشيم ·

وكانت الوزارة المحلية للاقليم الشمالى (أو المجلس التنفيذى كما كانت تسمى) تتكون من ستة أعضاء من المجلس التشريعى وثلاثة من الرؤساء الوطنيين وخمسة من كبار الموظفين كلهم من البريطانيين رأس المجلس أحدهم وهو الكابتن شيروود سميث (السير بريان الآن) وقد عقد الاجتماع الاول فى ٦ من فبراير سنة ١٩٥٢ وما كادوا يقسمون اليمين القانونية حتى دخل أحد السعاة بورقة لرئيس المجلس ماكاد ينظر فيها حتى امتقع لونه واعلن أن ملك بريطانيا قد مات ·· !

ولعل البعض يتساءل كيف كان الرؤساء والزعماء المحليون يحضرون اجتماعات المجلس الشعبى فى حين كان يجب عليهم أن يظلوا فى بلادهم ليديروا شئونها ·· والجواب هو انهم كانوا يحضرون الجلسات الهامة التى تناقش فيها الأمور الهامة فقط أما الجلسات العادية فكانت تناقش

فيها المسائل التافهة أو البسيطة . ولما كانت كل أوراق المجلس باللغة الانجليزية فقد كان على بعضهم أن يستخدم مترجمين أمناء لترجمتها .

وفى أول اجتماع للمجلس اختار ثمانية وستين من أعضائه ليمثلوا الاقليم الشمالى فى مجلس النواب بلاجوس وكان الحاج أحمدو بللو من بين هؤلاء المنتخبين كما تولى رياسة الوفد الشمالى .

وعندما ذهبوا الى لاجوس وجدوا أنلكل منالاقليم الشرقى والغربى حزبه القوى فهناك حزب المجلس القومى لنيجيريا الكاميرون NCNC فى الشرق وحزب جماعة العمل فى الغرب أما الشماليون فقد تجمعوا وكونوا ما أطلق عليه اسم « الكتلة الشمالية » . وقد كان المجتمع غريبا على الشماليين تماما فى لاجوس وكان نواب اليوروبا أى نواب الاقليمين الشرقى والغربى بالنسبة لهم ينتمون الى عالم آخر .

ويقول أحمدو بللو انه حمد الله حينئذ على أنه لم يقبل أن يكون عضوا فى الوزارة المركزية .

أما حزب مؤتمر شعوب الشمال فلم يكن فى أول الامر غير جمعية ثقافية باسم مؤتمر شعوب الشمال ألفها فى مدينة زاريا الدكتور ديكو الذى يحتل الآن مركزا رفيعا فى وزارة الصحة . وبعد انتخابات سنة ١٩٥١ طلب الحاج أبو بكر تافاوا باليوا من الحاج احمدو بللو أن ينضم الى الجمعية التى أصبحت بعد ذلك أكبر الاحزاب السياسية بالشمال تحت الاسم نفسه . ومن العجيب أن حزب جماعة العمل فى الغرب نشأ أيضا بالطريقة نفسها اذ كان جمعية تسمى Egbe Omo Odudwva أى جمعية اليوروبا الثقافية .

ولقد أصبح الحاج احمدو بللو بعد ذلك رئيسا لهذا الحزب والحاج أبو بكر تافاوا نائبا للرئيس وابراهيم امام سكرتيرا عاما . وقد حقق الحزب نجاحا سريعا فقد انضم اليه معظم أعضاء مجلس الشعب الاقليمى كما اتسع وشمل الاقليم الشمالى كله . وكانت أهدافه فى منتهى البساطة هى أن يعمل على تطوير البلاد فى أقصر وقت ممكن وأن يحافظ على السلام والنظام وعلاقات الصداقة والوئام بين كل الشعوب المختلفة داخل الوطن وأن يعمل على رفع مستوى الادارة فى الاقليم وأن يضمن للجميع حرية الفكر والدين وأن يفعل الخير لجميع البشر .

وهكذا أصبح الحاج أحمدو بللو وزملاؤه وزراء فى الوزارة الاقليمية أى المجلس التنفيذى ولكن دون وزارات نظرا لأن الدستور لم ينص

صراحة على أن الوزراء مسئولون تماما عن الأقســـام والادارات التابعة لوزاراتهم وانما هم مسئولون فقط عن مواضيع · وعلى ذلك فقد سارت الأقسام التابعة لوزاراتهم دون أية مبالاة بهم أو اعتبار لوجودهم · وظن البعض أنهم مجرد أداة فى أيدى موظفى هذه الادارات أو أن الامر لايعدو مجرد مظاهرة خادعة وأن الادارة البريطانية ستستمر ولذلك دهشوا حين رأوا الوزراء قد بدءوا العمل بجد وشاهدوا فى ذلك نهاية لسلطانهم ونفوذهم · وفى الوزارات الفنية كان الموظفون الفنيون يظنون أن فى استطاعتهم أن يجعلوا الوزراء يتوهون وسط الارقام والمعادلات والرسوم الفنية المعقدة · وفى أول الأمر لم يجد الوزراء أماكن مناسبة فخصصت لكل منهم غرفة فى المكان الذى توجد فيه الادارة المختصة ثم حصل كل منهم على سكرتير · وعلى كل حال فان الأمر لم ينتظم الا فى سنة ١٩٥٥ حين أصبح لكل منهم مركزه الملائم وسلطاته كوزير وأصبح لكل منهم سكرتيرية دائمة ·

وكانوا يشكون من الفراغ فى أول عهدهم بالوزارة فقد كان العبء كله واقعا على موظفيهم الاداريين وظل احمدو بللو أياما طويلة يقطع الوقت الذى يقضيه بمكتبه فى القراءة ·

وكانت وزارته (الاشغال العامة والمواصلات) تختص بشئون المبانى الحكومية من حيث التصميم والتشــييد والصيانة بما فيها المبانى التى أصبحت اليوم من اختصاص الحكومة المركزية مثل مكاتب البريد ومراكز البوليس وكذلك كانت تختص بتمهيد الطرق بجميع أنواعها حتى الطرق الرئيسية التى دخلت أيضا اليوم فى اختصاص الحكومة المركزية ولكن الوزارة كانت تعانى نقصـــا خطيرا فى عـــدد الموظفين ومن نقص المـــواد الضرورية ، ومن اهمال كثير من الموظفين المسئولين ولكن برغم ذلك فقد تمت عدة انجازات هامة منها بناء مدرسة وكلية ومستشفى فى مدينة كفى Keffi ومعهد الادارة فى زاريا Zaria والمبانى المخصصة لتعليم الكبار ، والطريق من كادونا الى كفى فى وادى زامفارا ، والطريق من كادونا الى ماندو ، والكبارى الهامة فى مايو بلوا وفى اداماوا وفوجو foggo وعدد آخر لا يحصى من المنازل والمستشفيات والمدارس ·

وكانت كل موارد المياه بالاقليم من اختصاص وزارة الاشغال وكانت مسئولية جد خطيرة فقد كانت السيدات يقطعن فى فصل الجفاف ثلاثة أو أربعة أميال الى أقرب مورد للمياه لم يجف بعد لتملأ كل منهن اناء

واحدا . ولعلاج ذلك قامت الوزارة بحفر مئات من الآبار في أنحاء الاقليم وكان ذلك هو الحل الوحيد للمشكلة بالرغم من أن بعض الاماكن كانت مياهها غير صالحة للشرب كما أن بعضها كان من العمق بحيث تحتـاج عملية استخراج المياه منه الى جهد كثير من الرجال .

وكانت الشئون الاخرى التي لا تدخل في اختصاص الوزارات المختلفة يقوم بها السكرتير المدني والسكرتير المالي والسكرتير القضائي وكانوا من كبار الموظفين البريطانيين ومعتبرين كوزراء ولهم الحق في حضور جلسات المجلس الشعبي والرد على الاستفسارات فيه .

ى - نظام الإدارة المحلية أو الوطنية

وفى ابريل سنة ١٩٥٣ أضيفت على أعباء أحمدو بللو أعباء وزارتى «تطوير المجتمع» و «الحكومة المحلية» وهما من أهم الوزارات التى تتصل مباشرة بالمصالح الحساسة للجمهور وقد سبق أن تحدثنا عن المقترحات التى وضعت وناقشناها بالنسبة للادارات الأهلية وذلك بناء على الاقتراح الذى تقدم به الحاج أبو بكر تافاوا باليوا ٠

وكان الانفاق على أعمال هاتين الوزارتين (تطوير المجتمع والحكومة المحلية) يتوقف على النقود التى تسمح بها لاجوس وكانت فى عمومها مبالغ بسيطة فقد كانت كل الاعتمادات المخصصة للتعليم فى نيجيريا كلها فى السنة المالية ١٩٣٨/ ١٩٣٩ : ٢٨٢٨٢٠ جنيها وللصحة ٤٤٦٦٣٢ جنيهـا تختص العاصمة لاجوس بالقدر الاكبر منها ولكن من حسن الحظ كان يوجد نظام الادارة الوطنية **National Administration** أو الحكم المحلى لتعالج بعض الشىء الفقر الحكومى ٠

فقد قامت الادارة الوطنية بانشاء معظم الطرق الاصلية والمدارس الاولية والعيادات الصحية والاسواق وعموما معظم الأشياء التى تؤثر مباشرة على حياة الفرد ٠ كما أن سلطة الادارة الوطنية كانت ومازالت مسئولة عن استقرار الأمن فى مناطقها ٠

وهذه الادارة الوطنية تستند على جذور تاريخية بعيدة المدى ٠٠ وهذا هو السبب فى أن مجالس هذه الادارة تختلف من حيث مدى اختصاصها وعدد ما يتبعها من السكان فمثلا فى كانو **Kano** كان يتبعها حوالى أربعة ملايين نسمة أما فى بدّ **Bedde** فكان يتبعها حوالى أربعون ألفا ٠ ومركز امارة بورنو كانت مساحته تبلغ ٢٦٠ ميلا مربعـا ولذلك كانت هناك فكرة لاعـــادة توزيع وتقســـيم مجالس هذه الادارة

الوطنية ٠٠ وقد ظلت الادارة الوطنية هى المدرسة الاولى التى يتعلم فيها ويتدرب كل المشتغلين بالحياة العامة فى البلاد من وزراء ونواب وكبار موظفين ومسئولين ٠

ولقد كان لوجارد هو المؤسس الاول لنظام الادارة الوطنية (أو المحلية) ٠٠ فقد رأى العبقرية الادارية لحكام شعب الفولانى وموظفيهم فاستوحى منهم هذا النظام الذى أطلق عليه اسم « الحكم غير المباشر » Indirect Rule وعممه على الاقليم الشمالى كله وقد حاول البريطانيون تطبيق نفس نظام الادارة عند الفولانى على المناطق الوثنية ولكنهم فشلوا٠

والحق أن حكم الشعب نفسه بنفسه وبوساطة منظماته الخاصة ورؤسائه الذين يختارهم هو الطريق الصحيح لتلبية حاجاته وتحقيق التقدم لكل أفراده ٠ ولقد حققت الحكومة المحلية فى الشمال مثلا اصلاحات هائلة فى الفترة التى انقضت منذ انشائها سنة ١٩٥٢ وكذلك استطاعت نيجيريا أن تتقدم بعد الاستقلال خطوات جبارة الى الامام ما كان يمكن أن تحققها أبدا فى ظل الاستعمار البريطانى ٠

ويرى أحمدو بللو ان المشكلة الحقيقية التى يعانى منها هذا النظام هو الاختلاف البين فى المساحة وعدد السكان بين الوحدات الادارية المختلفة فالوحدة الكبيرة مثل «كانو» لديها معين هائل من الرجال الصالحين تستطيع أن تأخذ منه حاجاتها باستمرار كما ان لها دخلها الكافى الذى يمكنها من دفع المرتبات الكبيرة للاشخاص الصالحين ٠ وذلك طبعا بعكس الوحدات الصغيرة ٠

والمشكلة الأخرى فى نظره هو الفارق الجوهرى بين الرياسات التقليدية القديمة خاصة تلك التى أنشأها الشيخ عثمان دان فوديو وبين المجالس القبلية للمواطنين الذين يطلق عليهم اسم « وثنيين » ٠ فوظيفة الرئيس واضحة محدودة له اختصاصاته ويعرف المهام الملقاة على عاتقه والاعمال المنوطة به التى يتوقف انجازها على مدى كفاءته وشخصيته ٠٠٠ وقد تؤدى عدم كفاءته الى عزله ٠ وذلك بعكس مهام المجالس القبلية ٠

وبخصوص المجالس المحلية ٠٠فقد كان اختيار أعضائها يتم بالانتخاب مرة كل ثلاث سنوات ٠٠ ولكن لم يكن مسموحا لأحد من أعضاء المجلس القديم ان يتجدد انتخابه وبذلك يخسر المجلس الجديد كفاءات عديدة اكتسبت خبرة طويلة ويصبح أعضاؤه الجدد حديثى عهد بالعمل فى الحقل المحلى ٠٠٠ وليس لهم معرفة بالاجراءات والانجازات السابقة ٠

وكان النظام القديم الذى وضعه لوجارد للادارة المحلية هو أن يقسم

الاقليم الى أمارات على رأس كل منها أمير يعاونه مجلس الامارة الذى يشغل بعض أعضائه مراكزهم بالوراثة والبعض الآخر بالاختيار · وعضو المجلس ليس مسـئولا أمام أى شخص الا أمام الامير الذى يقوم هو بتعيينهم أو باستبعادهم حسب مشيئته · وأعضاء المجلس كانوا يعيشون فى عاصمة الامارة ونادرا ما كانوا يغادرونها وكان الامير يستشيرهم فى معظم الامور قبل أن يبت فيها وعادة يأخذ بنصائحهم ·

ومعظم النواحى لها رؤساء مراكز · وبعضها فقط هى التى تستحق أن نطلق عليه اسم مراكز اما البعض الآخر فليس أكثر من بعض المزارع الواقعة وسط الاحراش وهؤلاء الرؤساء كانوا يميلون الى الاقامة فى المدن الكبيرة لأنهم يخشون أن يغيبوا فى طى النسيان اذا ذهبوا الى أماكن عملهم النائية وبلا شك كان يوجد الكثير من الحقد ومن التآمر وحبك الدسائس أيضا التى ما زال يوجد منها الكثير حتى الآن ·

وكان يوجد أيضا رؤساء القرى أو العمد · وكانوا مسئولين عن اقرار الامن بصفة عامة واعتمادهم فى ذلك على أنصارهم وأقاربهم دون مساعدة من الحكومة وما زال الامر كذلك حتى الآن · وهم مسئولون أيضا عن جمع الضرائب التى تركزت اليوم فى نوعين اثنين هما الضريبة العامة والضريبة على الماشية ··· ولكن ليس معنى ذلك انهم كانوا يتساهلون مع الفلاحين ذلك انهم كانوا يستقطعون لأنفسهم نصيبا منها ويسلمون الباقى للمسئولين ·

وكانت ــ وما زالت ــ توجد المحاكم الاهلية Native Courto ولكنها اليوم تنظر فى عدد من القضايا تزيد عشرين مرة عما كانت تنظره فى الماضى · وقد منع لوجارد المحامين من الترافع أمام هذه المحاكم كما كان الانجليز يترددون كثيرا قبل الاقدام على ادخال أية تغييرات فى أعمال هذه المحاكم لأن القانون الذى كانت تطبقه هو أحكام الشرع الحنيف ولكنهم أدخلوا درجات أعلى من القضاء للاستئناف أمامها لم يكن الفلاحون البسطاء على وعى كامل بها كما انها كانت تبدو ممتازة من الناحية النظرية فقط أما من ناحية التطبيق فقد كانت تؤدى الى تعطيل الفصل فى القضايا مددا طويلة كما ان القانون الذى كان يطبق أمامها يختلف عن القانون الاسلامى المطبق أمام المحــاكم الأهلية ومن ثم فان كثيرا من المذنبين الذين كانوا يدانون أمام هــذه المحــاكم يحكم عليهم بالبراءة أمام تلك المحــاكم الاستئنافية التى كان قضاتها من البريطانيين · مما أدى الى اضعاف ثقة المواطنين بعدالتها ·

وقضاة المحاكم الاهلية كانت تعينهم سلطات الحكم المحلى ويتقاضون منها مرتباتهم وقد استمر الأمر كذلك حتى الآن ٠

وكان هناك نوع من البوليس يسمى « دوجاراى Dogarai أفراده يتولون اقرار الامن وتنفيذ الاحكام وحراسة الامير فى وقت واحد ٠ وكانوا يرتدون ملابس غير منسقة ويحملون سيوفا طويلة وفى أحيـــان أخرى بنادق قديمة ٠ وقد ظل هذا النوع من رجال البوليس هو النوع الوحيد الموجود فى الاقليم الشمالى حتى نهاية العشرينات ثم انتخب بعض أفراده ودربوا تدريبا حديثا على أعمال البوليس الصحيحة وتكون منهم البوليس الحالى الذى يتبع السلطة المحلية والذى يبلغ أفراده حوالى ستة آلاف شخص ٠

وكانت السجون فى بدء عهدها تابعة للرؤساء وفى حالة جد سيئة وذلك قبـــل أن تنشأ بعـد ذلك السجون الحديثة التى يتمتع فيهـــا المسجونون بالرعاية والعناية ٠

والمناطق القبلية لم يكن يوجد بها تنظيم من أى نوع الا فى مناطق القبائل الكبرى مثل الفولانى والكانورى ولذلك كانت القبائل تدير شئونها طبقا لعاداتها فهم يجمعون الاموال التى تطلب منهم دون أن يعرف المسئولون القواعد التى يجمعون على أساسها هذه الاموال ٠٠٠ وكذلك كانوا يسيرون فى قضائهم وحل مشاكلهم طبقا لعاداتهم وتقاليدهم ، أما اليوم فقد وضعت قواعد مخالفة لذلك وبدأ النظام وحسن الادارة يطبق فى مناطق القبائل جميعا ٠

ولقد قام الحكم الوطنى بادخال النظم الحديثة التى استلزمت عددا كبيرا من الموظفين حتى لقد بلغ من ألحق منهم بالخدمة سنة ١٩٦٢ ــ ٣٧ ألفا ٠ ومن بين الاصلاحات المرموقة أن نظام الكتاتيب فى القرى التى كان يشرف عليها « المعلم » الجالس أمام تلاميذه فى ظل الشجرة يحفظهم القرآن الكريم فقط قد استبدل بمدارس أولية منظمة ذات مناهج حديثة كما توجد اليوم حوالى ستمائة عيادة طبية صغيرة يشرف عليها الاهالى أنفسهم كما توجد مستشفيات تابعة للسلطات الاهلية فى معظم الاماكن الرئيسية مجهزة بأحدث المعدات والآلات وبالعدد الكافى من الأطباء ٠٠ فمثلا مستشفى مدينة كانو التى أنشأتها سلطات الحكم المحلى برعاية أمير كانو تعد أضخم مستشفى موجود فى غرب افريقيا كله وأكثرها استعدادا وتجهيزا ٠

ان نظام الادارة المحلية قد حقق نجاحا رائعا فى الشمال ونجده خاليا من تعقيدات الروتين ويستجيب لمطالب المواطنين مباشرة لانهم هم الذين

ينفذونه بأنفسهم • والى جانب النجاح الذى لاقاه فى تنظيم شئون التعليم والشئون الصحية مما أشرنا اليه أعلاه •• فقد حقق هذا النظام نجاحا كبيرا أيضا فى ميدان الزراعة والغابات والطب البيطرى فقد زرعت ملايين الاشجار فى المدن وعلى جوانب الطرق وقامت حملات نجحت فى القضاء على أمراض خطيرة كانت تفتك بملايين من رءوس الماشية كل عام مثل الطاعون البقرى •

ومن أعمال الحكم المحلى أيضا انشاء ادارة خاصة بالتخطيط فى كل مدينة صغيرة كانت أو كبيرة تتولى تخطيط المدينة وتنظيمها وتحديد مواقع الأسواق والمنازل وغيرهما كما أن سلطات الحكم المحلى كان لها ادارتها الخاصة بالاشغال العامة تشرف على تمهيد الطرق وصيانة المنازل وتدير النقل الميكانيكى وتقيم مشاريع المياه والكهرباء ولقد أنفقت سلطات الحكم المحلى فى مدينة كانو سنة ١٩٢٩ : ٣٠٠ ألف جنيه لادخال المياه والكهرباء بها ولو كان الامر قد ترك للسلطات الحكومية لما كان أحد يعلم متى يتم المشروع • كما ان ادارات السلطة الاهلية شيدت لها مبان أنيقة جميلة فى غير اسراف تجلب لها ولموظفيها الاحترام وتسهل للمواطنين قضاء مصالحهم •

وهذه السلطة الاهلية تخضع لوزارة الحكم المحلى • وبذلك نستطيع أن نتصور مدى ضخامة الاعباء التى كانت ملقاة على عاتق أحمدو بللو وهو أول وزير يشرف على هذه الوزارة فى أول حكومة وطنية بالاقليم الشمالى •

ولقد سار احمدو بللو على سياسة احلال الوطنيين محل البريطانيين فى وظائف الحكومة وفى سنة ١٩٦١ كانت نصف الوظائف التى كان يشغلها المحتلون قد « تنيجر » اذا صح هذا التعبير •

وتحت اشرافه ارتفع دخل السلطة الاهلية فى امارة كانو مثلا من ١١٩٦٣٠ جنيها سنة ١٩٢٦/٢٧ الى ١٧٧٧١٣٥ جنيها سنة ١٩٦٠/٦١ وفى مدينة سوكوتو من ٧٩١٨٧ الى ١٠٤١٩١٠ جنيها وفى مدينة بورنو من ٥٠ ألفا الى أكثر من تسعمائة ألف جنيه فى السنوات نفسها •



هـ - أزمات في لاجوس

بعد صدور الدستور الجديد ٠٠ كان كل شيء يسير على مايرام فى الاقاليم ولكن الامر لم يكن كذلك فى العاصمة وكان لذلك أسباب أربعة :

أولا ـ التكوين العجيب لمجلس الوزراء ٠

ثانيا ـ المشاعر الغريبة التى كانت سائدة فى لاجوس والمدن الاخرى الكبيرة فى الجنوب ٠

ثالثا ـ تأثير الاحزاب السياسية الجديدة ٠

رابعا ـ الفروق المختلفة فى درجات التقدم التى وجدت الاقاليم نفسها فيها ٠

ولنبدأ بالسبب الاخير فالاقليم الشمالى مثلا كان أكثر الاقاليم تأخرا من ناحية التعليم والثقافة فلم تكن به نسبة من المتعلمين تدانى نسبة الموجود فى الاقاليم الاخرى كما انه لم يكن يوجد أناس حاصلون على درجات جامعية وهى المؤهلات الضرورية فى ذلك الوقت لشغل الوظائف العليا وكانت الوظائف العليا فى الحقيقة مقصورةعلى البريطانيينفنادرا ماكان أحد الافريقيين يتولى هذه المناصب فمثلا حدث منذ ثلاثين عاما أن تولى أحد الافريقيين منصب مقيم المستعمرة Resident of the Colony أى محافظة العاصمة لاجوس وضواحيها ٠٠ كما تولى عدد نادر من الافريقيين مناصب السكرتارين ، ونظرا لما يعانيه الاقليم الشمالى من نقص فى عدد المتعلمين المؤهلين فقد كانت فرصة شغل الشماليين لوظائف كبيرة فى الحكومة الاتحادية تعد فى حكم المعدومة وقد كان هذا الامر بالنسبة للشماليين مسألة حياة أو موت ذلك انه فضلا عن نقص عدد المتعلمين لديهم فان اقليمهم أيضا متأخر عن الاقليمين الجنوبيين من ناحية التقدم المادى وذلك يرجع الى أن البريطانيين كانوا يولون عناية كبرى للجنوب

المتاخم للمحيط والذى تتركز فيه مصـــالحهم كمـا تنتشر فيه بعثـــاتهم التبشيرية ويهملون الشـــمال المتمسك بدينه الاســـلامى والذى يقاوم تأثيراتهم الثقافية والتبشيرية . وكان الشماليون يخافون أن يؤدى عدم شغلهم للوظائف الكبرى فى الحكومة الاتحادية وقصرها على متعلمى الجنوب وأحزاب الجنوب (التى لا تخفى عداءها للشماليين) . الى استمرار اهمال اقليمهم .

كما ان الاحزاب السياسية فى الجنوب كانت أكثر تقدما من أحزاب الشمال .. والزعماء الســـياسيون كانوا ذوى عقلية حزبية انضج من زعماء الشمال . لقد سبق نضوجهم الحزبى نضوجهم الوطنى بوقت طويل وكانت مطالبتهم بحرية تكوين الاحزاب تسبق مطالبتهم بالوحدة الوطنية والاستقلال . ولكنها كانت أيضا وفى الحقيقة أحزابا قائمة على شخصيات مشهورة معينة وتابعة لهم . وكان عملها هو تأليه هذا الشخص والعمل على أن يتبوأ مركز الزعامة الوطنية ويحتكر القوة السياسية . أما فى الشمال فقد كانت الاحزاب لا تهدف الى تمجيد الاشخاص بقدر ما تطالب بالحكم الذاتى والتخلص من الادارة البريطانية . أما المطالبة بالحكم الذاتى فقد كان كفيلا باثارة زوبعة من التذمر فى الجنوب حيث تكون قبائل اليوروبا والأيبو الأغلبية الساحقة . ولكن مطلب الحكم الذاتى كان يستعمل فى الجنوب كوسيلة للضغط السياسى على الحكومة وخلق شعور من المطالبة الوطنية ذلك أن تحقيقه فى نظرهم كان يعتبر أمرا مستحيلا لأنه لا يوجد الجهاز الذى يحل محل الاستعمار .. وبرغم ذلك فعندما جاء الحكم الذاتى سار الامر على أحسن ما يرام .

أما النقطة الاخيرة وهى الخاصة بمجلس الوزراء الاتحادى فقد كان يوجد أربعة وزراء من كل اقليم ووزير بدون وزارة من الكاميرون الذى كان يعتبر نظريا جزءا من الاقليم الشرقى وكان عدم وجود حزب أو أغلبية برلمانية يشكل الحكومة كمـــا ان عدم رغبة الاحزاب الدخول فى تآلف يسند الحكومة يؤدى بالتالى الى زعزعة موقفها .

وبجانب الوزراء الوطنيين كان يوجد سبعة من الموظفين البريطانيين .. منهم الحاكم العام الذى كان يرأس الحكومة ثم نواب الحاكم العام الثلاثة ثم كبير سكرتيرى الحكومة والسكرتير المالى والمدعى العام .. وهؤلاء كانوا أعضاء فى مجلس الوزراء بحكم وظائفهم .

ولو كان الجميع فى المجلس خالصى النية لسار العمل على ما يرام فى مجلس الوزراء . ولكن وزراء الاقليم الشرقى والغربى كانوا كما قلنا سياسيين محترفين وكانوا لذلك يعالجون كل موضوع يطرح على بساط

البحث فى المجلس من زاوية سياسية أما الوزراء الشماليون فلم يكونوا سياسيين محترفين كما كانوا يكرهون الجو المحيط بهم فى لاجوس وكذلك عادات وتقاليد الناس هناك ومن هنا كانوا يفكرون فى كل شىء بروح متجردة ويبدون آراء صريحة واضحة مما جعلهم فى كثير من الأحيان يتصادمون مع زملائهم الجنوبيين .

وكان فى مجلس الوزراء الاتحادى واحد فقط من رؤساء الأحزاب هو الدكتور انديلىممثل الكاميرون والوزير دون وزارة . وكان يرأس وزراء الاقليم الغربى مستر س.ل.اكينتولا (الذى كان رئيسا للوزراء قبل عزله والقبض عليه) فى حين كان رئيس حزبه (حزب جماعة العمل) وهو الزعيم أولووو Awolowo عضوا فى مجلس النواب . وكان دكتور أزيكوى رئيس حزب الاقليم الشرقى رئيسا لوزراء الاقليم لكنه لم يكن عضوا بمجلس النواب .. وان كان قد اعتاد ان يجلس فى شرفات الزائرين ويدير من هناك المعارك التى يخوضها نواب حزبه فى قاعة المجلس . أما وزراء الاقليم الشمالى فكان يقودهم فى المجلس الحاج أبو بكر تافاوا باليوا فى حين كان السيد احمدو بللو عضوا فى مجلس النواب .

ولكن برغم هذه الحزبية الاقليمية فى مجلس الوزراء المركزى (أو الاتحادى) فقد كان الوزراء يديرون وزاراتهم بمنتهى العدالة والنزاهة دون أن يحابوا اقليما على حساب اقليم آخر .

مزيد من الازمات فى لاجوس

كان أحمدو بللو وما زال يؤمن بأن الحكم الذاتى معناه حكومة الشعب يكونها الشعب وتعمل من أجل الشعب . وكان يؤمن أن الحكم الذاتى لشعب نيجيريا لابد أن يسبقه اعداد واسع النطاق للجماهير خاصة تلك التى تعيش فى الاقليم الشمالى حيث ينتشر الجهل وحيث مستوى الثقافة أقل بكثير من أهل الجنوب وذلك بالاضافة الى مستوى المعيشة المنخفض وبرغم أن وجهة النظر هذه قد لا تحظى بتأييد الكثيرين من المتعطشين للحرية الذين يرون أن الاستعمار هو المسئول الاول عن هذا الجهل والفقر والمرض الذى يخيم على الشمال وأهله بل وعلى كل الشعوب التى عانت ويلاته ... الا أن أحمدو بللو ومعه قادة الشمال كانوا يؤمنون أن الوقت لم يحن بعد لتنال نيجيريا الحكم الذاتى . وكان يعارضهم فى ذلك قادة

الاقليمين الشرقي والغربي الذين لا يعاني أهلهما من مشاكل الجهل كما يعاني الشماليون .

والحق أن زعماء الشمال كانوا يعملون بهمة ونشاط لتعويض مسافة التخلف الطويلة التي تفصل بين الشمال والجنوب وقد عرضنا لأمثلة من الجهود الكبيرة التي يبذلونها في هذا السبيل .

وقد حدث صراع عنيف في مجلس النواب الاتحادي بلاجوس حول هذه المسألة وتكتل نواب كل من الشمال والجنوب . كل فريق مصر على رأيه . وكان الخلاف على أشده حول هذه المسألة بين حزب جماعة العمل الذي يسيطر على الاقليم الغربي بزعامة أولوو Awolowo وبين حزب الـ Nene بالاقليم الشرقي بزعامة دكتور ازيكوي من جهة وبين حزب مؤتمر شعوب الشمال من جهة أخرى .

وقد تضـــخم الخلاف حول هذه النقطة حتى قـــدم أربعـــة من الوزراء الجنوبيين في الحكومة المركزية بلاجوس استقالاتهم وحتى قامت المظـــاهرات تهتف ضد النواب الذين يمثلون الاقليم الشـــمالي بمجلس النـــواب .

وما حدث هو ان الزعيم « ايناهورو Enahoro النائب وعضـــو حزب جماعة العمل بالاقليم الغربي تقدم باقتراح الى مجلس النواب أن يصدر قرارا هذا نصه : « يقبل هذا المجلس كهدف سياسي رئيسي يأتي في المرتبة الاولى الحصول على الحكم الذاتي لنيجيريا في سنة ١٩٥٦ » .

وكلمة زعيم لا تعني في الاقليم الغربي ما تعنيه في الاقليم الشمالي من السلطة والنفوذ العريضين ولكنها مجرد لقب شرفي لاغير .

وقد حاول أحمدو بللو وزملاؤه من نواب الشمال أن يحملوا مقدم الاقتراح على سحبه ولكنه أخبرهم أن تقديم الاقتراح كان بمقتضى قرار من الحزب وأن عليهم أن يقابلوا Awolowo رئيس الحزب وتمت المقابلة فعلا وساق نواب الشمال مبررا لطلبهم سحب الاقتراح أن أمرا هاما مثل هذا يحتاج الى أن يقوموا بالسفر الى بلادهم لعرض الامر على مواطنيهم واستفتائهم ومشاورتهم فيه قبل أن يعلنوا موقف الشمال منه ورد أولوو بأنه سيعرض الامر على حزبه .

وفي اليوم التـــالي عاد أولوو باقتراح جديد هو أن يطلب حزب جماعة العمل تأجيل عرض الاقتراح على المجلس حتى الدورة القادمة المقرر عقدها في أغسطس بشرط أن يتعهد نواب حزب مؤتمر شعوب الشمال

انهم لن يعارضوه · ولكن هؤلاء رفضوا اعطاء هذا التعهد ومن ثم بدأت معركة حامية بين النواب الشماليين فى المجلس بقيادة أحمدو بللو وبين نواب الجنوب (الاقليمين الشرقى والغربى) متكتلين ·· أو قل هى معركة بين الشمال والجنوب ·· اذا كان نواب الشمال حقا يعبرون فى هذا عن رأى شعوبهم ·

وحدد لنظر الاقتراح ومناقشته جلسة الحادى والثلاثين من مارس سنة ١٩٥٣ وكان فى جدول الاعمال ست مسائل مدرجة للمناقشة كان هو آخرهم · وقد علم بعد ذلك أن وضعه فى ذيل جدول الاعمال كان من تدبير مجلس الوزراء (أو بالذات الاعضاء الانجليز والشماليون به) بأمل ألا يتمكن النواب من الوصول اليه عندما يقومون بمناقشة المسائل بترتيب وجودها فى الجدول كما جرت العادة وبذلك يسقط الاقتراح ولا يمكن اثارته مرة أخرى خـــلال الدورة نفسها · وفى مجلس النواب المحلى بالاقليم الشمالى كان النواب يتمسكون بترتيب المسائل فى الجدول أما فى المجلس الاتحادى فيبدو أن الامر كان يختلف ·

وفشلت محاولة الحكومة لعدم نظر هذا الاقتراح فى الدورة نفسها اذ رفض أصحاب الاقتراحات الستة التى كانت تسبقه فى جدول الاعمال أن يتحركوا حين نودى عليهم لعرض اقتراحاتهم مما يدل على اتفاق نواب الجنوب جميعا على ضرورة مناقشة هـذا الاقتراح الهام فى تلك الدورة واحباط مناورة الحكومة ·

وكان النواب الشماليون يأملون أن يعقد اجتماع عام للاحزاب المشتركة بالمجلس خارج قاعته لمناقشة موضوع الاقتراح أولا والاتفاق على موقف موحد وذلك قبل عرضه بالمجلس ولكن لم يتم شىء من ذلك · وعرض الاقتراح كما رأينا بشكل مفاجىء ·

ولكن القارىء المنصف لا يسعه الا أن يرى فى أن اقتراحا هاما كهذا يهدف الى تحقيق الاســتقلال لنيجيريا ووضع مقدراتها بين أيدى أبنائها لا يحتاج الى مناقشة سابقة وانما يجب أن يكون مطلبا وطنيا متفقا عليه بداهة من الجميع · وبرغم ذلك فلا نستطيع أن ننفى عن أحزاب الجنوب تهمة التلاعب والمناورة السياسية واستغلال هذا المطلب القومى لتعميق مشاعر العداء بين الشماليين والجنوبيين وايهام الجماهير فى الجنوب ان الشماليين يقفون بعددهم الضخم الذى يفوق عدد الجنوبيين فى اقليميهم الشرقى والغربى مجتمعين ضد الاستقلال الوطنى ·

ووقف مقدم الاقتراح النائب الغربى ايناهورو والقى خطابا طويلا

شرح فيه اقتراحه وبين ان تاريخ ١٩٥٦ قد اختير لأنه فى سنة ٥٦ ستكون نهاية البرلمان الاول لنيجيريا وأنه من الممكن حينئذ أن يوضع دستور جديد للبـــلاد ينظم سلطات الحكم الذاتى • وطـــالب بألا يتأخر منح نيجيريا الاستقلال الذاتى حتى عام ١٩٥٦ لأن ذلك التأخير سيعنى « امتدادا لفترة استعباد البلاد » وأن سنة ١٩٥٦ هى السنة التى رأت الاحزاب الممثلة لآراء أغلبية الشعب انها أنسب الأعوام لتحقيق الاستقلال برغم أن هناك بعض المشاكل الصغيرة التى قد تواجه نيجيريا وهى ما اذا كان سيوجد بالبلاد عدد كاف من المتعلمين يحل محل الاجانب وما اذا كان يوجد محل لخوف بعض النواب الشماليين من أن الشمال سيسيطر عليه الجنوب لما يتمتع به هذا من تفوق ثقافى وحضارى •• ثم طالب بأن يمنع الموظفون الرسميون أعضاء المجلس بحكم وظائفهم ومعظمهم كان من الانجليز من التصويت على الاقتراح وأخيرا أنهى خطبته قائلا « ان الوطن كله — بل العالم كله — يترقب رأى المجلس فى هذا الاقتراح •• وستنشر أنبـاء ما نقوله هنا اليوم فى كل مكان »

وتوالى بعد ذلك النواب الجنوبيون يؤيدون الاقتراح •• وعندما جاء دور الشماليين وقف الحاج أحمدو بللو فاقترح تعديل الاقتراح المقدم بجعله « تحقيق الاستقلال الذاتى ، فى أسرع وقت مستطاع » بدلا من تحديد عام ١٩٥٦ وبرر هذا التعديل بقوله « ان كل مجتمع هو خير من يحكم على ظروفه وموقفه وبهذا فان الشماليين هم خير من يقدرون ظروفهم التى تجعلهم لا يربطون أنفسهم بتاريخ معين للحصول على الحكم الذاتى •• ان مصير الشمال فى يد أبناء شعب الشمال • ان نيجيريا تتكون من عدد من المجتمعات الكبيرة والصغيرة وكل منها مختلف عن الآخر فى نظرته العـامة ومعتقداته • ولم تفلح الثقافة الغربية فى التقريب بين هـــذه المجتمعات • انني أشعر أن مقترحات من هذا القبيل لا يمكن أن تحقق هدفا الا الايذاء واساءة المشاعر • فمنذ وقت طويل يعتقد العالم ان الشمال النيجيرى متأخر وأن قومه محافظون رجعيون لا يقبلون بسهولة الافكار الحديثة • كما اننا نحس انه من واجبنا نحن النواب الممثلون للشـــمال الذين اختارنا الشعب هناك للتعبير عن مصالحه من واجبنا أن نستشير شعبنا فى مثل هذا الامر الهام • واذا كان نواب الشرق والغرب المحترمون يؤيدون هذا الاقتراح بمقتضى تفويض من قومهم •• أهالى الاقليمين •• فاننا نعلن نحن نواب الشمال أنه ليس لدينا مثل هذا التفويض من ناحيتنا هناك • كما أن الاتحاد الحقيقى يجب أن يسود نيجيريا قبل أن تطالب بالحكم الذاتى وأن يحل الوئام بين مواطنى الاقاليم الثلاثة محل

الخصام والتعالى ·· لهذا كرسنا نحن الشماليين كفاحنا للوصول الى الحكم الذاتى بالرغم من أننا متأخرون فى استيعاب وهضم الثقافة الغربية · ان أية دولة تقبل الحكم الذاتى يجب أن تسعى لذلك وعيناها مفتوحتان ·· وان المشكلة هى أن بعض أقسام هذه الدولة تحاول أن تفرض رأيها على الأقسام الاخرى ·

ان هذا الاقتراح أو عشرات من أمثاله لا يستطيع أن يحقق الحكم الذاتى الفعلى لنيجيريا اذا ظلت منقسمة على نفسها · فالحكم الذاتى يمكن أن يتحقق لنيجيريا اذا وعت جماهير الشعب فى كل مكان معناه وتفهمته تماما » ·

وخلف الحاج أحمدو بللو تكتل معظم نواب الشمال وهكذا احتدمت المعركة بين نواب الشمال ونواب الجنوب بقسميهم الشرقى والغربى · وأعلن أولوو مقدم الاقتراح انه لم يكن يظن ان اقتراحه سيلقى معارضة من أحد·· ذلك أن بريطانيا تحتل نيجيريا ويجب أن تذهب· أما الاصلاحات التى تدعى بريطانيا انها قامت بها فى البلاد فانها تكلفت أقل بكثير من الارباح الطائلة التى عادت على بريطانيا من بيع العبيد الافريقيين الذين اختطفتهم من البلاد وقال انه لا يهاجم رجال الاعمال أو التجار أو رجال الارساليات بل انه لا يناصب الموظفين البريطانيين الذين وفدوا الى نيجيريا لمجرد كسب العيش العداء ·· ولكنه يعادى السيادة التى تدعيها بريطانيا على البلاد ·· لذلك فهو يطالب بأن تمكن البلاد من اختيار حكام الاقاليم والحاكم العام من بين مواطنيها ·

ووصل الأمر الى حد أن اتهم نواب الجنوب زملاءهم الشماليين بالخيانة وممالأتهم للمستعمرين وانسحبوا من جلسة التصويت على القرارات ·· وظل باقيا فى الجلسة كتلة نواب الشمال وبعض النواب الجنوبيين وكان عددهم كافيا للتصويت برفض الاقتراح ·

وكان لذلك رد فعل عنيف لدى جماهير الشعب فى الجنوب التى قامت بمظاهرات عنيفة معادية لنواب الشمال · كما أن بعض الوزراء الجنوبيين فى الوزارة الاتحادية استقالوا من المجلس ·

ولقد كان لموقف الجماهير فى الجنوب من النواب الشماليين أثر سيىء فى نفوس هؤلاء حتى فكروا فى الانسحاب من الاتحاد ... ولكنهم عزموا على البعد عن الجنوبيين وألا يستعينوا بهم فى أى من شئونهم . وترددت فكرة المطالبة بنصيب الاقليم الشمالى من المعادن التى ينتجها وسط نيجيريا ليتولى تصنيعها بنفسه أو بيعها لحسابه . ولكن كان هناك مسألة خطيرة :

هى أن معظم دخل نيجيريا فى ذلك الوقت كان يأتى من العوائد الجمركية التى تفرض على الصادرات والواردات فى الموانى التى تقع جميعا فى الجنوب .. ومعنى استقلال الشمال انه سيحرم من نصيبه من هذه العوائد واذا فكر فى فرض ضرائب على البضائع الخارجة أو الداخلة الى أراضيه فستكون عملية شاقة وان كانت غير مستحيلة . ولكن هل سيوافق الجنوب المعادى للشمال على مرور بضائع هذا أو عرباته من والى الموانى مرورا حرا عبر الاراضى الجنوبية ؟ .

ولذلك فقد رأى الشماليون أن يسلكوا طريقا وسطا وهو أن يهدفوا الى أن يتمتع كل من الاقاليم الثلاثة بأكبر حرية ممكنة وذلك داخل اطار الشكل الاتحادى للبلاد كلها .

ولقد امتدت الاضطرابات بين الشماليين والجنوبيين الى الشمال فوقعت مصادمات عنيفة بين الشماليين وبين الاقليات الجنوبية من الايبو Ibo واليوروبا المقيمين بالشمال . وقد استمرت احدى المعارك التى وقعت يوم ١٦ من مايو سنة ١٩٥٣ فى كانو يومين كاملين وسقط فيها أكثر من ٣١ قتيلا و ٢٤١ جريحا .

وقام نواب الشمال بجهود كبيرة فى اقليمهم وسط مواطنيهم ليحصلوا على تأييد لموقفهم من الحكم الذاتى وعدم تحديد تاريخ ثابت له وكذلك من مسألة منح الاقاليم مزيدا من الحرية فى ادارة شئونها .

وفى يومى ٢٢ و ٢٣ من مايو سنة ١٩٥٣ اجتمع مجلسا البرلمان فى الاقليم الشمالى ووافقا على الاقتراحين المقدمين بهذا الخصوص .

مؤتمر لندن الاول

وقد أحدثت مطالبة الاقليم الشمالى بمنح الاقاليم مزيدا من الاستقلال هزة عنيفة حملت بريطانيا على دعـوة الاحزاب فى الشمال والجنوب الى مؤتمر فى لندن . وذهب مندوبو الاحزاب الى هناك حيث بدأت من جديد المعارك الحامية بين الشـــماليين والجنوبيين فى جلسات المؤتمر ، ولكن الشماليين على كل حال حصلوا على القدر الاكبر من مطالبهم .

وقد اتفق على أن تختص الحكومة المركزية بمسائل الدفاع والشئون الخارجية والطيران المـدنى والاشراف على البنـوك والعملة والمواصـــلات السلكية واللاسلكية والسكك الحديدية والموانى ومرافق الكهربا والاذاعة وبعض المسائل الاخرى .

كما رئى أن يوكل الى كل اقليم أمر الاشراف على التعليم العـــالى والتنمية الصناعية على أن تقوم الحكومة المركزية بالفصـــل فى المنازعات التى تقوم بين الأقاليم بخصوص هذه المسائل . كما اتفق على أن يتحول نواب الحاكم الى حكام لهم صلاحية كاملة فيما يختص بالاقاليم والاعمـال التى يشرفون عليها وأن يتحول حاكم نيجيريا الى حاكم عام . ورئى أيضا أن تفصل تماما الوظائف فى كل اقليم عن الوظائف فى الحكومة المركزية .. وأن يختص كل اقليم بتحديد أنواع وعدد الوظائف التى يحتاجهـا وتعيين هؤلاء الموظفين . وهذا الامر الاخير يحقق مطلبا هاما من مطـــالب الاقليم الشمالى الذى كان يخاف أن تغرقه الحكومة الاتحادية بفيـــض من الموظفين الجنوبيين غير المرغوب فيهم نظرا لما يعانيه من قلة عدد المتعلمين من أبنائه .

واتفق أيضا على أن يتكون مجلس النواب الاتحادى من عدد من النواب يمثل كل منهم ١٧٠ ألفا من الناخبين وأن تجرى انتخاباته مستقلة تماما عن الانتخابات للمجالس الاقليمية .. بحيث لا يسمح لأحد أن يجمع بين عضوية مجلس اقليمى والمجلس الاتحادى وبذلك كان على الاقليم الشمالى أن ينتخب للمجلس الاتحادى اثنين وتسعين عضوا مقابل اثنين وأربعـين لكل من الاقليمين الشرقى والغربى وستة نواب يمثلون الكاميرون ونائبين يمثلان لاجوس العاصمة .

كما اتفق بالاجمـاع على أن تكون للوزراء سلطاتهم كاملة .. ورئى أيضا أن تكون بلدية لاجوس العاصمة تابعة للحكومة الاتحادية وليس لحكومة الاقليم الغربى التى تقع فى أراضيها .. وبذلك اطمأن الشماليون

على مصير تجارتهم التى يتم تصديرها أو استيرادها من ميناء العاصمة ٠

وأثيرت فى المؤتمر ـ من جديد ـ مسألة حصول نيجيريا على الحكم الذاتى سنة ١٩٥٦ وهو المطلب الذى سبق للبرلمان الاتحادى أن رفضه بعد انسحاب النواب الجنوبيين منه قبل شهور والذى ساءت على صخرته العلاقات بين الشمال والجنوب ٠ وحسما للخلاف فقد اتفق على أن يحصل كل اقليم على الحكم الذاتى حالما يرى نفسه أهلا لذلك بحيث يباشر سلطاته وحده بعيدا عن تدخل الحكومة المركزية الا فى المسائل الحيوية التى سبق بيانها ٠

ومن الغـريب أنه رغم هذا القـــرار فان أيا من الاقليمين الشرقى والغربى لم يطلب الحكم الذاتى لنفسه الا بعد خمس سنوات من تاريخ عقد المؤتمر أى فى سنة ١٩٥٨ ٠٠ أما الاقليم الشمالى فقدطلب هذا الحكم بعد ست سنوات ٠

وبالنسبة للاستقلال الذاتى لنيجيريا ٠٠ فقد تقدم الزعيم أكينتولا Chief Akintola الى المجلس الاتحادى فى مارس سنة ١٩٥٧ باقتراح أن تنال نيجيريا الاستقلال فى السنة نفسها ولكن أحد النواب الجنوبيين تقدم باقتراح آخر بأن تنال نيجيريا الاستقلال فى نطاق الـكومنولث فى سنة ١٩٥٩ ووافق الشماليون على هذا الاقتراح ٠٠ وانتهى الخلاف الحاد الذى ظل سنين طويلة ناشبا بينهم وبين الجنوبيين ٠٠ وان كان الاستقلال لم تحصل عليه نيجيريا الا فى أكتوبر سنة ١٩٦٠ ٠

وخلال هذا المؤتمر ٠٠ يحكى الحاج أحمدو بللو كثيرا من الطرائف التى تبين مدى تمسكه هو ومن معه بتعاليم الدين الحنيف وآدابه فقـــد كانت الحفلات الجماعية التى تقام للوفد النيجيرى تضايق الشماليين أشد المضايقة لما يصحبها من ضوضاء وضجة بينما هم قد اعتادوا على الهدوء والاجتماعات القليلة العدد التى يخيم عليها الوقار ، وكذلك لم يكن أحد من المسلمين يقرب الخمر بينما كان الجنوبيون يعبون منها عبا ٠٠ وفضلا على ذلك فان الشماليين قد اعتادوا أن يأووا الى فراشهم مبكرين (عقب صلاة العشاء عادة) ولذلك فقد كانت هذه الحفلات تضـــايقهم تماما اذ ترغمهم على الســـهر وارهاق صحتهم ٠٠٠ ولذلك فقـــد كانوا يؤثرون الاستئذان ومغادرة هذه الحفلات ٠ ومن الحفلات نوع يحمل عليه الحاج أحمدو بللو بشدة وهو هذا الذى كانت تقيمه بعض المؤسسات التجارية وخلال الحفل يحاول مندوبو المؤسسة عرض بعض الصفقات التجارية على النيجيريين للاشتراك فيها والمساهمة فى اقامة بعض المنشآت المالية ٠

فى أول أكتوبر سنة ١٩٥٤ أصبح الحاج أحمدو بللو رئيسا لوزراء الاقليم الشمالى · وعقب توليه الوزارة قام باضافة وزيرين آخرين اليها أحدهما لشئون الكاميرون الشمالى الذى كان تحت وصاية الامم المتحدة وعهدت بالاشراف عليه الى بريطانيا ، ووزير آخر لتطوير المجتمع والمساحة· وبذلك أصبح عدد أعضاء الوزارة سبعة بما فيهم الرئيس الذى كان يتولى أيضا وزارة الحكومات المحلية وفى سنة ١٩٥٥ قام الحاج احمدو بللو برحلة طويلة للبلاد العربية زار فيها طرابلس الغرب بليبيا والقاهرة والمملكة العربية السعودية حيث أدىفريضة الحج وعادمباشرة الى نيجيريا وقد استقبل فى كل البلاد بحفاوة منقطعة النظير ·

وكان من المفروض أن يعقد مؤتمر آخر فى لندن سنة ١٩٥٦ مثل ذلك الذى عقد سنة ١٩٥٣ ، وذلك لبحث ما جد من الامور فى نيجيريا ولكن الموقف السياسى فى الاقليمين الشرقى والغربى فى ذلك الوقت لم يسمح بعقد ذلك المؤتمر فى تلك السنة ·

أما فى الاقليم الشمالى ·· فقد كانت الامور تتطور فيه بسرعةكبيرة على يد الحكومة الوطنية وخاصة فيما يتعلق بشغل الوظائف فيه بأبناء الشمال أنفسهم بدلا من الجنوبيين والبريطانيين وقد ألقى الحاج أحمدو بللو حينئذ أى سنة ١٩٥٦ خطابا بين فيه التطور فى هذه الناحية فقال :

« عندما تولينا نحن الشماليون مقاليد الامور فى اقليمنا سنة١٩٥٢ وألفنا أول وزارة اقليمية لم يكن يوجد أكثر من ١٦٣٣ شماليا يشغلون الوظائف الصغيرة وخمس وعشرين يشغلون الوظائف الكبيرة · أما الآن فانه يوجد ٢٣٥٦ من أهل الشمال يشغلون الوظائف الصغيرة بزيادة تبلغ ٤٨٪ عما كان قبلا و ٦٢ شماليا يشغلون الوظائف الكبيرة بزيادة قدرها ١٤٨٪ ونحن على الدرب سائرون » ·

كما بلغت تقديرات النفقات فى الميزانية الخاصة بالاقليم الشمالى مبلغ ١٢٣٧٧٠١٩ جنيها استرلينيا وهو يبلغ ضعف ما كان مدرجا فى الميزانية العامة لنيجيريا كلها قبل الحرب العالمية الثانية ·

كما نمت كادونا عاصمة الاقليم الشمالى نموا كبيرا فقد ارتفع عدد سكانها من ٤٣٣٦ نسمة سنة ١٩٣٩ الى ٧٣٣٤٦ سنة ١٩٦٠ وأصبحت

تغطى مساحة يبلغ طولها من الشمال الى الجنوب احدى عشر ميلا وعرضها من الشرق الى الغرب خمسة أميال وهى تنمو باستمرار ·

وكادونا تقع جنوب نهر النيجر الذى يسمى عندها نهر كادونا أما المنطقة الصناعية بها فتقع شمال النهر وقد صدر سنة ١٩٥٦ قانون بفصلها عن اقليم زاريا وجعلها هى وضواحيها اقليما مستقلا بذاته خاضعا مباشرة لاشراف أحد الوزراء ·

وفى نوفمبر سنة١٩٥٦ جرتالانتخابات الجديدة فى الاقليمالشمالى ودخلتها ثلاثة أحزاب رئيسية هى « حزب مؤتمر شعوب الشمال NPC الذى يرأسه الحاج أحمدو بللو وحزب العناصر التقدمية الشماليةNEPU والحزب المتحد لمؤتمر الحزام الاوسط UMBC الى جانب عدة أحزاب أخرى صغيرة ·· وقد اكتسح حزب مؤتمر شعوب الشمال فقد فاز بمائة مقعد بجانب ثلاثة نواب آخرين انضموا اليه كانوا من المستقلين · وفاز الحزبان الآخران بثمانية مقاعد والاحزاب الاخرى بعشرين مقعدا · وهكذا شكل الساردونا الحاج أحمدو بللو الوزارة الثانية للاقليم الشمالى ·

مؤتمر لندن الثانى

وفى سنة ١٩٥٧ نالت غانا استقلالها ·· فكانت بذلك أول دولة افريقية جنوب الصحراء تنال حريتها · وقد وجه الحاج أحمدو بللو رسالة تهنئة بهذه المناسبة الى الشعب الغانى قال فيها « ان غانا ستلاقى أخطارا جسيمة كثيرة ·· كما أنها ستواجه اختبارات دقيقة · وأول هذه الاختبارات هى المحافظة على الديمقراطية والاستمساك بها · وانه لواجب يقع على زعيم الدولة الجديدة أن يقاوم كل التأثيرات المعادية للديمقراطية أن نيجيريا نفسها ستواجه مثل هذا الاختبار قريبا ·

«والاختبار الثانى الذىستتعرض له غانا هو الوحدة الوطنية فلسوف تنقضى سنوات طويلة قبل آن تقوم شعوبالقارة باحترامالحدود السياسية لدولها أكثر من الحدود القبلية وطوال هذه السنوات سيعانى القادة فى توحيد شعوبهم داخل حدود بلادهم السياسية ·· هذه الحدود التى قام الاستعمار برسمها تحكما دون اعتداد بالطبيعة أو السكان واننا لنرجو مخلصين أن تحتل غانا مكانها الجدير بها فى العالم دون أن تعانى مشاكل قبلية أو قلاقل داخلية ·

« أما الاختبار الثالث الذى ستتعرض له غانا فهو مواجهة محاولات التدخل والتأثير الخارجية · وانه من الصواب أن تقوم غانا بالانضمام الى حركة الوحدة الافريقية الشاملة أو الوحدة بين أقطار غرب افريقيا فقط · كما انه من الواجب أن تناصر غانا كل حركة تدعو الى مقاومة الاضطهاد العنصرى فى اتحاد جنوب افريقيا » ·

وبعد ذلك قام الحاج أحمدو بللو بزيارة لغانا حيث قوبل بحفاوة بالغة وقابله مواطنوه المهاجرون هناك من أبناء الاقليم الشمالى باستقبالات رائعة وأثقلوه بالهدايا التى تعبر عن حبهم له وتقديرهم لجهوده ·

وفى تلك السنة أيضا بلغت تقديرات الميزانية فى الاقليم الشمالى لنيجيريا حوالى ٢١ مليونا من الجنيهات خصص منها للخدمات الاجتماعية حوالى أربعة ملايين ونصف مليون جنيه و ١٪ من المليون لاستغلال الموارد الطبيعية ومليونين للاشغال العامة وثلاثة ملايين للطرق والمبانى الجديدة ومن المبانى الجديدة التى أنشئت فى ذلك العام مبنى الحكومة الجديد فى كادونا كما أنشىء مطار جديد فى كانو تكلف حوالى مليونين من الجنيهات ·

وفى مايو من السنة نفسها سنة ١٩٥٧ سافر الوفد النيجيرى الى لندن لحضور مؤتمر لندن الثانى الذى استغرقت جلساته الاسبوع الاخير من مايو ومعظم شهر يونيو · وقد اتفق على أن يحصل كل من الاقليمين الغربى والشرقى على الحكم الذاتى بعد وقت قصير أما الاقليم الشمالى فقد رئى أن ينال حكمه الذاتى سنة ١٩٥٩ كما اتفق أيضا على تعديل الدستور الخاص بالاقليم الشمالى بحيث يزداد عدد أعضاء مجلس الشيوخ House of Chiefs ليضم كل الشيوخ الكبار بالاضافة الى سبع وأربعين آخرين كما رئى زيادة مجلس النواب الى ١٧٠ نائبا منتخبا بالاضافة الى الرئيس والنائب العام وخمسة أعضاء آخرين يعينهم حاكم الاقليم · ولكن لم يتم تنفيذ هذا التعديل الخاص بزيادة أعضاء مجلس النواب الا بعد خمس سنوات أى فى سنة ١٩٦٢ نظرا لان المجلس لم يكن قد مضى على انتخاب أعضائه الا فترة جد قصيرة ·

كما اتفق أيضا على زيادة عدد أعضاء المجلس التنفيذى بحيث يضم الوزراء الاثنى عشر بالاضافة الى عدد من الشيوخ لا يزيد على أربعة والمدعى العام (البريطانى) وذلك برياسة حاكم الاقليم · بالرغم من انه فى كل من الاقليمين الشرقى والغربى كان رئيس المجلس التنفيذى هو رئيس وزراء الاقليم ولكن اتفق على أن يكون الحال كذلك فى الاقليم الشمالى حين يحصل على الحكم الذاتى كما اتفق على الغاء منصبى السكرتير المدنى والسكرتير

المالى للاقليم اللذين كان يشغلهما البريطانيون ووزعت اختصاصاتهما على الوزراء وعين السيد / ماكامان بيضا أول وزير للمالية ومازال يشغل هذا المنصب بكفاءة حتى الآن ٠

أما بخصوص اتحاد نيجيريا الفدرالى ٠٠ فقد اتفق على انشاء منصب لرئيس وزراء الاتحاد واستبعاد الموظفين البريطانيين الثلاثة من مجلس الوزراء ، وكذلك اتفق على انشاء مجلس شيوخ اتحادى يختار أعضاؤه بالتساوى من كل اقليم ، كما زيد عدد أعضاء مجلس النواب الاتحادى الى ٣٢٠ عضوا بحيث يمثل كل عضو مائة ألف نسمة من المواطنين ٠

وكانت المسائل موضع الخلاف هى مسائل البوليس ، والعاصمة لاجوس ، والأقليات ، والنواحى المالية ٠ وفيما يختص بالبوليس فقد رئى انشاء قوة كبيرة تخضع لحكومة الاتحاد باعتبارها المسئولة عن اقرار الأمن والسلام فى كل أجزاء الاتحاد ٠

وما زال لكل حكومة اقليمية الحق فى انشاء قوة بوليسية خاصة ٠

أما بخصوص لاجوس فقد أصر مندوبو الاقليم الشمالى على استمرار فصلها عن الاقليم الغربى واعتبارها هى وضواحيها اقليما مستقلا ٠٠ وقد عارضهم فى هذا بالطبع مندوبو الاقليم الغربى ولكن أثار مندوبو الاقليم الشمالى مسألة المبالغ الطائلة التى تنفقها الحكومة الاتحادية على العاصمة والتى تفوق بكثير ما ينفق على المدن الأخرى ٠

وبالنسبة للاقليات فقد اتفق على تشكيل لجنة خاصة لبحث الموضوع

أما فيما يختص بالنواحى المالية فقد اتفق على عقد مؤتمر خاص لبحثها بين الاقاليم الثلاثة ٠

والمسألة الكبرى التى بحثها المؤتمر هى مسألة تحديد موعد لاعلان الاستقلال لنيجيريا ٠ وطبقا لما اتفق عليه فى المؤتمر فقد حصلت نيجيريا على الاستقلال عام ١٩٦٠ ودعى الحاج أبو بكر تافاوا باليوا من الاقليم الشمالى لتأليف أول وزارة اتحادية ٠

وقد عاب البعض على الحاج أحمدو بللو انه لم يتنازل عقب ذلك عن رياسة حزب مؤتمر شعب الشمال للحاج أبو بكر تافاوابالبوا خاصة وأنه ليس الا رئيس وزراء لأحد الاقاليم فقط ، ولكنه يرد على ذلك قائلا « انهم لا يعلمون ان رئيس الوزارة بأحد الأقاليم الثلاثة ليس بأية حال خاضعا لرئيس وزراء الاتحاد الفدرالى ٠٠٠ ذلك أن طريق كل منهما فى

الحقيقة مختلف عن الأخر كما أن وظائفهما لا تتعارض · فرئيس الوزراء الاتحادى يختص فقط بمسائل الاتحاد وليس بالمسائل الاقليمية » ·

كما قال البعض ان الحاج أحمدو بللو هو الذى يدير فى الحقيقة شئون الحكومة الاتحادية من مقره فى كادونا عاصمة الاقليم الشمالى · وهو يرد على ذلك قائلا « كيف يمكننى أن أفعل ذلك ؟ كيف أستطيع التحكم فى آراء مجلس وزراء اتحادى لكل من أعضائه رأيه الخاص وحزبه الذى ينتمى اليه ؟ من الواضح انه لا يمكننى أن أكون ذا رأى فى المسائل التى تنشأ كل يوم والتى يبحثها مجلس الوزراء الاتحادى » ·

محاولات لتصفية المشاكل الداخلية

وفى سنة ١٩٥٧ انتهت مدة خدمة السير بريان شاروود سميث الحاكم البريطانى للاقليم الشمالى والذى كان قد مضى عليه ستة وثلاثون عاما فى خدمة المصالح الاستعمارية بنيجيريا وقد قوبل ذهابه بارتياح عام نظرا لانه كان استعماريا قحا ذا عقلية جامدة غير متطورة فكان ينظر بعين السخط الى التغييرات المستمرة التى تمنح أهالى البلاد مزيدا من الحرية فى ادارة شئونهم مما جعله يصطدم كثيرا بالقوى الوطنية ·

وخلفه فى منصب حاكم الاقليم الشمالى آخر بريطانى تولى هذا المنصب وهو السير جاوين بل Sir Gawain Bell الذى كان يعمل فى السودان والذى كان يتقن اللغة العربية · ولم يكن قد سبق له العمل بنجيريا وقد رسم له الحاج أحمدو بللو خط السير الذى يجب أن يسلكه فى أول خطبة له أمامه بالمجلس النيابى الاقليمى فقال « اننا نحترم بل نقدس عاداتنا وتقاليدنا القديمة · ونحن يملأ قلوبنا احترام عميق لكبار السن فينا ولزعمائنا كما أننا شعب يحب السلام وينشد الوحدة ونحن مقتنعون أنه فى هذه المبادىء تكمن كل سعادتنا المستقبلة كما يكمن ازدهار شعوب هذا الاقليم ·

« ولقد وصلتم سيادتكم فى فترة دقيقة من فترات حياتنا ·· فنحن فى سبيل فتح صفحة جديدة من صفحات تاريخنا الدستورى ·· ومن الصعب التكهن بدقة بنوع هذه الصفحة وما سيكتب فيها · وعلى كل حال فنحن نعرف انه يمكننا أن نعتمد على وعى شعبنا وحرصه على المحافظة على الاستقرار الاقتصادى بالاقليم .. هذا الاقليم الذى نفخر به والذى نعلم انه عليه هو فقط يمكن للسلام أن يحرز تقدما ·

« ومن الضرورى يا سيدى ان نحيطكم علما بعامل هام يتوقف عليه مستقبلنا الى حد كبير ٠٠ ألا وهو شغل وظائف هذا الاقليم بأبنائه أنفسهم لأن ذلك هو الحل الوحيد لمشاكلنا الطويلة الأمد فى ملء وظائف حكومتنا وأداء الخدمات لابناء شعبنا ٠ وليس معنى ذلك ان حكومتنا ستفرق بين موظف وآخر بسبب جنسه أو عقيدته أو المكان الذى ولد فيه ٠٠ فذلك ما لم يحدث فى الماضى وبالتالى فلن يحدث فى المستقبل ٠٠ ولكننا مع ذلك نصر على أن جهد حكومتنا كله يجب أن يتجه نحو تدريب أبنـــاء الاقليم الشمالى رجالا ونساء ليحتلوا مكانهم فى ارساء قواعد الخـــدمة العـــامة بالاقليم » .

وفى هذه الأثناء كانت هناك ثلاث لجان تعمل لحل ثلاثة مشـــاكل تعاني منها أقاليم الاتحاد النيجيرى الثلاثة ٠ اللجنة الاولى : هى اللجنة المالية التى كانت تحاول تقسيم الدخل القومي بين الاقاليم الثلاثة ليأخذ كل منهم نصيبه العادل ٠ وبالرغم من الجهد الذى بذلته اللجنة ٠٠ فانها لم تستطع ارضاء أى من الاقاليم ٠٠ ذلك ان الحكومة الاتحادية كانت تأخذ الجزء الاكبر بالرغم من ان الاقاليم بمقتضى ما فرضه عليها الدستور من أعباء كانت هى المسئولة عن تحقيق الجزء الاكبر من نهضة البلاد وتقدمها وعن انشاء المؤسسات والمشاريع والمحافظة عليها ٠

واللجنة الثانية : كانت خاصة بتقسيم البلاد الى دوائر انتخابيـــة جديدة طبقا لما تم الاتفاق عليه فى لندن ٠٠ وكانت مهمتها يسيرة بجانب مهام اللجنتين الأخريين .

أما اللجنة الثالثة : فقد تولت على عاتقها مهمة من أصعب المهام ألا وهى بحث مشاكل الاقليات التى كان بعضها يرغب فى الانفصال عن هذا الاقليم أو ذاك ليجعل من منطقته اقليما جديدا منفصلا، وكانت هناك ثلاث طوائف تثير أكبر ضجة ٠٠ احداها كانت بالاقليم الشمالى وتقطن منطقة تعرف باسم « الحزام الاوسط » وهى شريحة طويلة من الاقليم تقع على طول جوانب نهرى النيجر وبينو Benue والحق ان هذه الاقليات كانت تتحرك بتحريض من الاحزاب المعارضة للاحـــزاب الحاكمة فى الاقاليم الثلاثة بغية اثارة المتاعب أمامها وايجاد مزيد من المشـــاكل قد تعرقل جهودها فى تحقيق مطالب الشعب واكتساب رضائه وتأييده ٠

على أنه نظرا لان هذه الاقلية التى تقطن منطقة « الحزام الاوسط » كانت وما زالت تتمتـــع بنصيب عادل وموفور من الخـــدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية ويجد أبناؤها فرصتهم على قدم المساواة تماما مع

غيرهم من أبناء الاقليم الشمالى فى مجال الوظائف الحكومية ... فقد رأت اللجنة عدم الاستجابة لهذه الدعوة الانفصالية والابقاء على وحـدة الاقليم الشمالى كما هى .

أما سنة ١٩٥٨ فقد تميزت فى ذاكرة الحاج أحمدو بللو بثـلاثة أحداث هامة . الاول هو ذهابه هو وأمير كانو الى الخرطوم والسـعودية لحل مشاكل الحجاج النيجيريين الذين يخرجون بالآلاف كل عام قاصدين بيت الله الحرام لأداء الفريضة سيرا على الاقدام لا مورد لهم الا ما يكتسبونه من عملهم على طول الطريق وخاصة فى جمهورية السودان حيث يستقر منهم آلاف كثيرة يزاولون مختلف الاعمال ليكتسبوا ما يسد نفقات طعامهم وسفرهم ... وهم يسمون هناك « الفلاتة » وتقوم على أكتافهم مشاريع ضخمة مثل مشروع الجزيرة الزراعى .

وقد استطاع أحمدو بللو ورفيقه أن ينجحا أيما نجاح فى مهمتهما .

والحدث الثانى هو تكوين لجنة استشارية تتكون من قاضى القضاة بالسودان وقاضى المحكمة العليا فى باكستان وخبير بريطانى فى الشريعة الاسلامية وثلاثة من شمال نيجيريا من مديريات « بورنو » و « النيجر » و « كبا » وذلك لتقديم المشورة لحكومة الاقليم فيما يتعلق بتعديل قانون العقوبات واصلاح المحاكم .

ولتوضيح مهمة اللجنة ومدى أهميتها قال الحاج أحمدو بللو فى بيان له أمام مجلس النواب الاقليمى :

« انكم تعلمون أن نظمنا القانونية والقضائية تتعرض للكثير من النقد ليس فقط فى نيجيريا بل فى أنحاء كثيرة من العالم . فنظامنـــا القانونى الحالى بدلا من أن يكون نظاما موحدا نجد أنه فى حقيقته ثلاثة أنظمة تطبق جنبا الى جنب فهناك القانون النيجيرى الذى يرجع فى أصله الى القانون الانجليزى وهناك الشريعة الاسلامية .. وهنـــاك أخيرا قانون العـرف والتقاليد الموروثة وهو قانون غير مكتوب وليس له صفة رسمية .

« وغير خاف عليكم ان هذا الاقليم يضم خليطا متنوعا من الناس لهم عادات مختلفة وتراث ثقافى متباين . وسبعة أعشار السكان هنا مسلمون وبين غير المسلمين نجد عددا كبيرا من المسيحيين . وبالاضـــافة الى ذلك يوجد عدد من الاقليات التى تنتمى الى أجناس مختلفة أعربت صراحة عن خشيتها ــ دون سند من الحقيقة أو التاريخ ــ من أنها قد تتعرض لضغط الاغلبية المسلمة واضطهادها فى المستقبل . وأخيرا فهناك مصالح تجارية

وصناعية تعتمد فى تمويلها على رأس مال أجنبى مستورد نعمل نحن جهد طاقتنا على تشجيعه وحمايته .

وليس فى التوصيات الرئيسية التى أصدرتها اللجنة ما يوحى بأن مشروع القانون الجنائى الجديد الذى تعمل على وضعه قد يتعارض بأى وجه من الوجوه مع مبادىء وتعاليم شريعتنا الغراء . وهو سيكون قريبا من تلك القوانين المطبقة من سنين فى السودان وباكستان والتى حازت قبول ورضاء الملايين المسلمين من سكان هذه البلاد .

« وتطبيق قانون جنائى موحد فى كل الاقليم سيؤدى بلا شك الى بعث الطمأنينة فى نفوس الاقليات غير المسلمة التى تعيش بيننا .

« ان طبيعة القانون شىء يؤثر فى حياة كل رجل وامرأة وطفل بالاقليم وكذلك أيضا فان شكل المحاكم ونظمها ونوع الرجال الذين يعملون بها أمر يرتبط أشد الارتباط بحياة الناس اليومية فى كل مكان » .

والحدث الثالث كان أكثر الاحداث أهمية وأبعدها أثرا فى مستقبل الاقليم اذ انه لم يكن غير حصول الاقليم على الحكم الذاتى . وخلال اجتماع أغسطس القصير الذى عقده المجلس التشريعى تقدم الحاج أحمدو بللو بكتاب أبيض الى النواب بين فيه الاجراءات التى ستتبع للحصول على الحكم الذاتى والتى تشبه الاجراءات التى اتبعت فى الاقليمين الشرقى والغربى . وكذلك التغييرات الدستورية التى يتطلبها هذا الامر . وكان لابد من بحث كل ذلك قبل ذهابهم الى مؤتمر لندن الثالث الذى حدد له نهاية سبتمبر من نفس السنة سنة ١٩٥٨ .

وقد قال الحاج أحمدو بللو وهو يقدم الاقتراح « لقد كنت أقول دائما ـ وكنت أتعرض للوم والنقد من جراء هذا القول ـ اننا هنا فى الاقليم الشمالى سوف نطالب بالحكم الذاتى بينما نتأهب لذلك ونحن نعتقد أننا قد تأهبنا فعلا . ولقد اتخذنا هذا القرار فى الوقت الذى اخترناه نحن ونحن الآن على استعداد لتحمل كافة المسئوليات الخطيرة والثقيلة التى يتطلبها الحكم الذاتى .. ونحن نفعل ذلك وقلوبنا مفعمة بالسرور ويملؤنا التصميم على بناء اقليم أكثر سعادة وازدهارا .

« ان لجنة الخدمة المدنية (١) ستظل مستقلة عن كل التأثيرات

---

(١) هى لجنة تنظر فى جميع شئون تعيينات وترقيات موظفى الدولة وتكون مستقلة عن التأثيرات الحزبية والسياسية . وهذا النظام مطبق فى بريطانيا وكل البلاد التى تخضع أو كانت خاضعة لها

السياسية كما أن القضاء سيكون مستقلا تماما عن السلطة التنفيذية.. وكذلك الحال فيما يتعلق بالهيئة التى تقوم بمراجعة حسابات الحكومة.

« ان فكرة الحكم الذاتى تملؤنا بالغبطة والسرور .. ولكن يجب الا نظن أن ذلك يعنى اختفاء المشاكل التى تعترض طريقنا .. فعندما نحصل على الحكم الذاتى فى ١٦ مارس سنة ١٩٥٩ ستبقى المشاكل والعقبات وستحتاج منا الى جهد كبير لتذليلها والتغلب عليها ٠

« وليس معنى الحكم الذاتى ان كل شخص سيحصل على كل ما يتمناه او انه سيتحرر من مسئولياته أو انه لن يلتزم باحترام القوانين واطاعتها ٠

« اذن ما معنى الحكم الذاتى ؟ ٠٠ هو أن نعمل بهمة ونشاط أكثر من ذى قبل وأن نتحمل مزيدا من المسئوليات والتبعات »

وقبل أن يذهب الوفد النيجيرى الى لندن لحضور المؤتمر الجديد .. قام رئيس وزراء الاتحاد (الحاج أبو بكر تافاوا باليوا) بافتتاح بدء العمل فى مشروع خط السكة الحديد الذى يصل الى أقصى الاقليم الشمالى الى بوتشى Bauchi وجومبى Gombe وميدوجورى Moidagri والذى يبلغ طوله أكثر من ٤٠٠ ميل وقد تكلف أكثر من عشرين مليونا من الجنيهات واستغرق اتمامه خمسة أعوام ٠ وهو من أكبر المشروعات التى اضطلعت حكومة الاقليم الشمالى بتنفيذها ٠

وفى مؤتمر لندن تم بحث مسائل هامة منها مسألة تعيين التاريخ الذى يحصل فيه الاقليم الشمالى على استقلاله الذاتى وقد اتفق على أن يكون يوم ١٦ مارس سنة ١٩٥٩ ٠ ومنها مسألة تاريخ حصول نيجيريا بأكملها على استقلالها .. وقد اتفق على أن يكون ذلك فى أول أكتوبر سنة ١٩٦٠. كما تم الاتفاق على تنظيم قوات البوليس بحيث تكون لجنة من رئيس وزراء الاتحاد ورؤساء وزارات الاقاليم الثلاثة ورئيس لجنة الخدمات البوليسية مع وجود المفتش العام والقومسيوريين كمستشارين ٠ وهذه اللجنة تختص باقتراح انشاء وتعديل ومراقبة قوانين البوليس التى تطبق وكذلك زيادة القوات وتوزيعها وتدريباتها ولكن جعل المفتش العام هو المسئول عن القوة البوليسية تحت اشراف رئيس وزراء الاتحاد وكذلك جعل القومسيوريون الاقليميون مسئولين عن القوى البوليسية الاقليمية تحت اشراف المفتش العام وبالتعاون مع الحكومات الاقليمية ٠

وقد تم اختيار يوم ١٥ مارس كتاريخ لانتهاء السيطرة البريطانية

على الاقليم لانه ذكرى المعركة التى دارت بين الوطنيين فى الاقليم الشمالى بقيادة سلطان سوكوتو وبين قوات الاحتلال البريطانى بقيادة لوجارد والتى أعقبها احتلال البريطانيين للاقليم الشمالى ·

وفى يوم ١٥ مارس سنة ١٩٥٩ أقيم احتفال صغير بهذه المناسبة نظرا لوقوعه فى منتصف شهر رمضان وفى فصل الحرارة القاسية وفى هذا الاحتفال سلم حاكم الاقليم البريطانى مقاليد الامور الى الحاج أحمدو بللو بصفته رئيسا للحكومة الاقليمية · وفى ذلك الوقت لم يكن الاقليم الشمالى قد اتخذ بعد علما خاصا به أو نشيدا قوميا له ·

أما الاحتفالات الكبرى فقد أقيمت فى مايو سنة ١٩٥٩ حيث حضرها مئات من المدعوين الذين سبق لهم العمل فى حكومة الاقليم الشمالى كما افتتحت فيه كثير من المشروعات مثل مبنى البرلمان الجديد ومدرسة الممرضات ·

خاتمة

بعد ستين عاما من ضياع استقلال شمال نيجيريا ٠٠٠ عاد اليه استقلاله واشرافه على شئونه الذاتية وبدأ يتخذ من جديد خطوات جلية وثابتة فى الطريق الى التقدم والحضارة ٠٠ ولكن على نفس الأسس القديمة ٠ حقا لقد أحدثت الطائرة والقطار والسيارة والتليفون والمستشفى والصيدلية والمدرسة والجامعة وغيرها من مظاهر الحضارة الغربيـــة تغييرات جوهرية فى شكل الدولة التى قام بانشائها منذ مائة وســتين عاما البطل الاسلامى العظيم عثمان دان فوديو ٠٠ ولكن الاسس ما زالت واحدة ٠٠٠ ما زالت توجد الولاءات القديمة والأسر القديمة والمعتقدات القديمة التى وضع قواعدها ذلك المصـــلح العظيم الذى ينحدر من صلبه الحاج أحمدو بللو ٠

حقا ان الاقليم الشمالى يكون جزءا من الاجزاء الثـلاثة التى ينقسم اليهـــــا اتحاد نيجيريا الفـــدرالى ٠٠ ولكنه فى الوقت نفسه يتمتع باستقلاله الذاتى وبحريته فى تطوير شئونه وادارتها بأبنائه أنفسـهم .. وقد رأينا مدى الجهـــد الجبار الذى بذله زعماؤه وعلى رأسهم أحمدو بللو ليحصـــل الاقليم على ارادته الذاتية وليقطع هذه المسافة الشاسعة عبر طريق التقدم ٠٠ وليقرب الفروق التى تفصل بينه وبين الاقليمين الجنوبيين ٠ ودور أحمدو بللو فى ذلك دور طليعى ٠ بل انه

هو قائد المعركة الحقيقى منذ اللحظات الاولى التى بدأ فيها الانجليز المستعمرون ، تحت الضغط الشعبى ـ يخففون من قبضتهم على زمام الامور فى البلاد وذلك دون أن نغض من أدوار زملائه الشماليين مثل الحاج أبو بكر تافاوا باليلوا رئيس وزراء الحكومة الفدرالية ٠

بقيت نقطة هامة ٠٠ هى الرد على السؤال الذى كثيرا مايتردد فى الاذهان وهو .. هل يمكن أن يتم فى المستقبل توحيد نيجيريا فى دولة بسيطة واحدة بحيث تلغى الاقاليم تماما ٠٠ أو هل يمكن على الاقل زيادة روابط الاتحاد بين الاقاليم الثلاثة ؟

فى رأيى ان الاجابة على هذه الاسئلة عسيرة ٠٠ ولكننا نستطيع أن نقول ان الامر سيستغرق وقتا أطول مما نظن لتتخذ أية خطوات فى هذا السبيل ذلك ان الرواسب التى فى النفوس عميقة جدا ٠٠ والفروق بين الشماليين والجنوبيين واسعة سواء فى العادات أو التقاليد وما زالت أحداث ١٩٥٣ حين رفض نواب الشمال اقتراحا قدمه رئيس حزب الاقليم الغربى بأن تحصل نيجيريا على الحكم الذاتى وما يترتب على ذلك من الاعتداءات المتكررة المهينة التى قام بها شعب الجنوب فى لاجوس ضد النواب الشماليين والاقلية الشمالية ثم ما اعقب ذلك من مصادمات دامية بين الاقليات الجنوبية وجماهير الشعب الشمالى ٠٠ نقول انه ما زالت هذه الاحداث عالقة بالاذهان تاركة فى النفوس مرارة عميقة مؤلمة ٠

وفضلا عن ذلك فان الشماليين مازالوا يرون اقليمهم متأخرا عن زميليه الجنوبيين ٠٠ وهم لذلك قد حرصوا على أن ينالوا الحكم الذاتى فى اقليمهم لمحاولة اللحاق بالجنوب وفى نفس الوقت حتى لايتمكن الجنوب بما لديه من اعداد كبيرة من المثقفين وبما قطعه من خطوات أوسع فى طريق التقدم ٠٠٠ ان يسيطر على الشمال فى حالة قيام وحدة كاملة بين الاقاليم الثلاثة ٠

ولعله مما يسترعى النظر فى الخطوات التى يتخذها الشمال لتحسين أوضاعه ودفع عجلة التطوير فيه ٠٠ انه يرجع فى بعض الاحيان الى كثير من النظم القديمة التى كانت

سائدة قبل الاستعمار الانجليزى ·· وذلك على الاخص فيما يتعلق بنظم الحكم المحلى ·· فمثلا رأى الشماليون أن نظام الامارات الذى كان قد وضعه عثمان دان فوديو واستمر بعده حتى دخل الانجليز هو اصلح النظم لواقعهم وتقدمهم ·· فعادوا فعلا اليه ولكن مع ادخال بعض التعديلات التى تتفق مع روح العصر فأصبح الامير مثلا ملزما باشراك حكومة الاقليم فى بحث المشاكل التى تتعرض لها الامارة وفى رسم الحلول اللازمة لها ·

وليس أجمل من أن نختم هذا العرض بتوضيح بعض الآراء الشخصية للحاج أحمدو بللو فى بعض المسائل التى تشغل اذهان الرأى العام الافريقى اليوم ·

فبالنسبة للوحدة الافريقية ·· يؤمن احمدو بللو بأية خطوات « للتقارب » بين الدول الأفريقية الحالية .. أما قيام وحدة أفريقية كاملة أو حتى ولايات افريقية متحدة فيرى أن الوقت لم يحن بعد .. ذلك أن كل دولة أفريقية لديها مشاكل داخلية كثيرة وخطيرة تحاول تلمس كافة السبل لحلها · كما أن القليل من الدول الافريقية حديثة الاستقلال هى التى لديها من ابنائها العدد الكافى لتدير به أجهزتها الحكومية وغير الحكومية ·· فضلا عن ادارة حكومة مركزية للقارة بأكملها أو لمعظم دولها المستقلة ·

وهناك أيضا مشكلة اللغة فى القارة ·· فهناك الدول التى تتحدث الانجليزية وتلك التى تتحدث الفرنسية ·· وقريبا ستصبح هناك كتلة ثالثة هى الدول التى تتكلم البرتغالية .. بل قد تكون هناك كتلة رابعة هى الدول التى تتكلم الاسبانية بعد استقلال المستعمرات البرتغالية والاسبانية ·· وهذا الخلاف فى اللغة امر يضع كثيرا من العراقيل فى طريق الوحدة الافريقية الشاملة ·

وهناك أيضا التباين الشديد فى القوانين والعادات والتقاليد ووجهات النظر ولكن أحمدو بللو مع ذلك لايرى أن هذه الوحدة غير ممكنة أو مستحيلة .. ولكنه يقول انه يجب التمهيد لها بعقد كثير من المؤتمرات والاجتماعات التى تطرح المشاكل الافريقية على بساط البحث وتناقشها بصراحة

وتجرد .. وتقترح لها الحلول العملية التى تتفق مع أمكانيات الدول الافريقية .. كما يجب أن تهدف هذه الاجتماعات الى تقريب الفروق بين هذه الدول شيئا فشيئا .

أمر آلخر يراه أحمدو بللو .. هو ان الحياد الايجابى هو الطريق الطبيعى للدول الافريقية وسط المعسكرات والتكتلات الدولية .. لانه هو الذى يقيها شر التقلبات العالمية ويمكنها من التعاون مع الجميع لخير البشرية كلها .

واخيرا فاننى أرجو أن يكون هذا الكتاب قد القى الاضواء على شخصية من المع الشخصيات وأكثرها فعالية وتأثيرا فى الغرب الافريقى - وأن يكون قد ساعد المهتمين بالشئون الافريقية والاسلامية فى بلدنا .. على تفهم نموذج للعقليات والافكار التى تقود قافلة من قوافل الركب الافريقى والاسلامى فى جزء من أكبر أجزاء أفريقيا المسلمة وهو الشمال النيجرى العظيم

فهرس

الدار القومية للطباعة والنشر
فرع الساحل

الدار القومية للطباعة والنشر